مختارات من

رسائل ولنسن

ترجمة

الدكتور عبد المنعم النجار

مختارات من



ترجمة
الدكتور عبد المنعم الناصر

مقدمة المترجم

بين يدي القاريء العربي ترجمة لعدد من رسائل الكولونيل تي . أي . لورنس انتخبت من بين حوالي ستمائة رسالة كتبها لورنس بين سنة ١٩٠٦ و ١٩٣٥ قام بجمع هذه الرسائل وحققها وأعدها للنشر ديفد غارنت(*) .

نشرت هذه الرسائل التي انتخبها محرر الكتاب من بين مجموعة الرسائل التي كتبها لورنس في حياته بعد أن جمعهـا من عائلة لورنس وأصدقائه ورتبها بتسلسل زمني حسب تواريخ كتابتها . كما قام غارنت بالتعليق على بعض من هذه الرسائل وقد وضعت تعليقاته داخل [أقواس مربعة] لتمييز كلام المعلق عن نصوص الرسائل .

ومن بين مجموع الرسـائل المنشورة في الكتـاب المذكور قمـت بأنتخاب ما يتعلق منها بتاريخ المنطقة العربية خلال الحرب العالمية الاولى والفترة التي تلتها .. وهي الفترة التاريخيـة التي شهدت كفاح العرب في سبيل استقلال بلادهم . حاولت في هذه الترجمـة ان أكون على أقصى ما استطيعه من الامانة العلمية لكي تولد الترجمة العربية وهي تعكس بصدق روح الكاتب ووجهة نظره في أمور المنطقة ومايراه ملائما لمصلحتها حسب وجهة نظره الشخصية والتي قد لا تتلاءم مع وجهة نظر ابناء الوطن العربي في تلك المرحلة التاريخية أو المراحل التي تلتها . واللـه من وراء القصد

المترجـم

مقدمة محرر الكتاب

بقي لورنس لبضعة أسابيع في انكلترا قبل نشوب الحرب . وفي رسالة له تاريخها ١٨/٩/١٩١٤ كان يشكو من الملل لعدم وجود ما يعمله غير أنه في الحقيقة كان مشغولا تماما فقد دوّن ملاحظة على مسودة كتاب ليدل هارت (لورنس في بلاد العرب) كتب فيها : ـــ

« لم تكن تركيا قد دخلت الحرب إلا أنها كانت غير راضية عن عملية المسح في سيناء لشعورها بأنها كانت لعبة عسكرية . وقد ألح كيشنر على صندوق الاستكشاف الفلسطيني لأن يصدر تقريره بسرعة عن استكشافاتنا الآثارية وصدرت التعليمات إليّ والى وولي لأنجاز التقرير بسرعة ؛ وعندما انتهينا من الكتاب ، كتبنا نحن الاثنين الى نيوكومب نستشيره في الحصول على عمل في الجيش . إلا أن ذلك كان صعب المنال . وقام نيوكومب بأخبار كوكس ، من دائرة الأستخبارات ، عن طلبنا ووضع اسمينا في قائمة الانتظار . لم يطق وولي صبرا فقبل رتبة عسكرية في سلاح المدفعية .

أما أنا فقد طلبت من هوغارث ، الذي كان ذا نفوذ في الجمعية الجغرافيه الملكية ، أن يسرع بتدبير شيء ما بشأني فأستطاع أن يجد لي وظيفة مع هيدلي. وكان هيدلي بالطبع يقوم بوضع خارطة لسيناء وهو على علم بي وقد بقي معه معاون واحد فقط وهو الكابتن وولتر نوجنت الذي كان سيتركه الى فرنسا بعد اسبوع . أسرع نوجنت بتعليمي ما ينبغي عليّ عمله بشأن واجباتي في القسم الجغرافي للأركان العامة ، وهكذا بقينا أنا وهيدلي لوحدنا في المكتب» .

وفي شهر كانون الثاني /ديسمبر أستبدلت وظيفته في قسم الخرائط بوظيفة ضابط خرائط في قسم الاستخبارات الجديد في مصر والذي كان يضم مجموعة من الرجال اللامعين • كان لورنس أكثرهم أصالة واندفاعا ، رغم كونه أصغرهم ، واستطاع ان يؤثر فيهم جميعا الى درجة كبيرة كان رؤساؤه لا ينظرون اليه بعين الارتياح وهم يرونه ضابطا صغيرا قليل الاهتمام بملبسه وهو يغدو ويروح بين القاهرة وبولاق على دراجته البخارية•

غير أنه كان يخطط لاستراتيجية في الشرق الاوسط يتم بموجبها تحرير سوريا من الاتراك وتوريط انكلترا في خلاف حاد مع حليفتها الرئيسة فرنسا• إن رسائله التي كان يعرض فيها خططه لاحتلال الاسكندرونة وجعلها قاعدة بحرية بريطانية قد توحي بالأعتقاد بأن بريطانيا وفرنسا على حافة حرب بينهما• فبعد ثلاثة أشهر من وصوله الى القاهرة كان لورنس يشرح خطته :ـ « ••• بأجتياح سوريا عن طريق الحجاز بأسم الشريف نستطيع الاندفاع نحو دمشق فنقطع على الفرنسيين أي أمل في سوريا • » •

كان هناك تقصير في إدراكه لواقع العلاقة الأنكلوفرنسية حيث لم يستطيع أن يتصور أن المصالح الصغيرة تتراجع أمام المصالح الكبيرة والاكثر بقاءً • إضافة الى أن التشابه والتطابق الحضاري خليق بأن يقوّي العلاقة بين انكلترا وفرنسا لوقت طويل يتجاوز المشاكل التي تفرزها الحرب •

كان هذا الادراك الخاطيء لطبيعة العلاقة المستقبلية بين فرنسا وانكلترا ناتج عن أن إدراك لورنس ، مثل كثيرين غيره من الانكليز آنذاك ، بأن روسيا هي الحليف الاقوى لفرنسا • لقد كان يجهل قوة الحركة الثورية في روسيا ولم يكن يعلم أن روسيا ، شأنها شأن حيوانات الديناصور القديمة ، تضعف كلما كبر حجمها إلا أنها تستعيد قوتها كلما فقدت بعضا من أرضها • كان يفترض أن الحرب ستنتهي بظهور امبراطورية روسية كبرى وقد وضعت

يدها على القسطنطينية الى الأبد وبلدان بحر البلطيق تحت نفوذها وانفتاح البحر المتوسط أمامها •

فأذا ما سيطرت روسيا على الدردنيل واصبحت سوريا في قبضة فرنسا فستكون خطوط مواصلات الامبراطوريـة البريطانية تحت رحمة الجميع • بيد أن في الوقت الذي أثبت فيه جنرالات روسيا بمعاونة لينين وتروتسكي أن هذا التصور مجرد حلم فارغ ، كان لورنس منهمكا في قضية حرية العرب وفي تصوراته عن مستقبل الامبراطوريـة البريطانية كأتحاد طوعي بين دول حرة ذات أقوام شتى • كان موقفه معارضا للفرنسيين لأنه كان يريد حكومة عربية خالصة في دمشق ، مثلما كان معارضا لحكومـة الهند لأنه كان يريد حكومة عربية خالصة في العراق •

تسجل بقية سنوات الحرب كيف قام لورنس بتنفيذ الخطة التي وضعها في ربيـع ١٩١٥ والوصول بها الى نهايتها الموفقة • كان لورنس في القاهرة منغمسا في استحضارات هائلة لأكثر الحملات العسكرية فشلاً وهي معركة غاليبولي الخرقاء عديمة الفائدة ومعارك غزة والدفاع عن منطقة القناة والحملة العسكرية في العراق حيث ضاعت أرواح الآلاف من الانكليز بدعوى الحاجة والضرورة •

كان الجنرالات المسؤلون عن هذه الكوارث يتمتعون بالنفوذ وتحت أيديهم جيوش هائلة • ولم يطلب لورنس أكثر من أن تطلق له الحرية في الكلام لكي يجعل الشخصيات البارزة من الانكليز والعرب يقنعون بأفكاره • نجح لورنس في مسعاه بأن جعل من نفسه شخصا مرفوضا من هيئة الأركان وأن يلتحق بالدائرة العربية التي تشكلت حديثا • وهناك وجد لورنس نفسه وسط مجموعة من الاشخاص الاذكياء واللامعين • وتميزت المرحلة المهمة بتأسيس واصدار نشرة سرية دورية اسمها (النشرة العربية The Arab Bulletin)

ـسست لجعل وزارة الخارجية والقيادات العليا في الهند ومصـر والسودان والعراق على اطلاع تام بالتطورات التي تجري في أرض العرب • كان لورنس مسؤولاً عن الاعداد الاولى من هذه النشرة ، وحتى بعد أن استلم كورنو الس هذه المهمة عنه بقي هو أكثر المساهمين فيها إثارة •

أستطاع لورنس أن يكسب لنفسه حرية العمل بفضل الدائرة العربية والنشرة العربية ومبادراته الشخصية وبذلك تمكن من إقناع الآخرين بأفكاره ومن الحصول على شحنات كبيرة من الأسلحة وأموال كثيرة ، وعلى عدد من الأشخاص الكفوئين في أمور التنظيم وقيادة السيارات وأستعمال الرشاشات• كتب لورنس في مقدمة كتابه الشهير « أعمدة الحكمة السبعة » يقول «••• ان جميع ممتلكات الامبراطورية لا تساوي عندي حياة صبي انكليزي يقتل من أجلها ••• » ويكاد هـذا الادعاء المتفاخر أن يكون صحيحا • فقد حاز على انتصاراته دون أن يعرض للخطر سوى القليل من الافراد الانكليز ، وحاز عليها ليس من أجـل أن يضيف المزيد من المقاطعات الى أمبراطوريتنا بل ليساعد العرب الذين عاش بينهم وأحبهم على ان يكونوا أحرارا وأن يعاد بناء الحضارة العربية •

غارنـت

١ـ الى المسز ريدر

١٨ أيلول/سبتمبر ١٩١٤

٢ بولستيد رود
أوكسفورد

عزيزتي المسز ريدر

قبل خمس دقائق وصلني منك مسدسان(١) ، ولما كان البريد سيذهب بعد قليل لذلك سأكتب لك بضعة سطور لأخبرك بذلك . إن المسدسين كما أردتهما تماما وان كرمك في إرسال أثنين منهما لأمر عظيم .

يعمل فرانك برتبة ملازم في الفوج الثالث كتيبة غلوستر وهو الآن يتدرب مع سريته قرب وولج ، واذا ما أنتهى من تدريبه وكان هنالك محل شاغر في الكتيبة في الجبهة فسيتم إرساله هناك . أقوم الآن بكتابة مؤلف عن موسى وتجواله ، لأن المسؤلين في مصر يدعون أنهم بحاجة لي غير أن الوقت لم يحن بعد ، كما أن وزارة الحرب لا تقبلني إلا اذا تمكنت الدوائر العسكرية في مصر أن تستغني عني .

ينتابني خوف شديد من أن الاتراك لا ينوون الدخول في الحرب . فقد يكون من الخير أن نصغر من حجمهم لنجعلهم مجرد آسيا الصغرى . والامر كله يعتمد على ما اذا كان أنور سيطلق لنفسه العنان مرة آخرى . إنه الآن مصاب بتسمم في الدم ويقبع مكتئبا في قصره . سيبدو من الممتع مشاهدة

انهيار الامتيازات التركيـة • سنتركها تتمتع بالحقوق المالية والاقتصادية في الممتلكات الاجنبية • يعني أن تبقى قادرة على فرض الضرائب على الاراضي والحيوانات التي يملكها الاجانب في تركيا: إلا أننا سنحافظ على حرمة وقدسية المراكز الدينية الاجنبية • وسينتهي عمل دوائر البريد البريطانية ، حيث أنها لم تحقق أية أرباح خلال سنوات • كما أن الاجانب سيسمح لهم بحرية السفر دون الحاجة الى اوراق رسمية •

واذا ما رفضت تركيا هـذه المقترحات فأن بريطانيا لن تدخل في حرب معها • إلا أن اليونان ورومانيا قد يكون لهما شأن آخر بعد أن وعدتا بلغاريا بنصيبها من الغنيمة مقابل مساعدتها الكريمة • كما أننا بطبيعة الحال سنجد مبررا لمجابهـة تركيا دفاعا عن النفس اذا ما قامت بالهجوم علينا في مصر أو الخليج •

٢- الى المسز فونتانا

٤ كانون الاول/ديسمبر ١٩١٤ أم أو ٤

وزارة الحرب • وايتهول

عزيزتي المسز فونتانا

لا أدري إن كانت لديك أية أخبار عن المستر فونتانا ؟ سمعت فقط أنه قد وصل مصـر ولا شـيء غير ذلك ، لقد حمل معه الى حلب ما كان يخصنا من كتب وغشيات وسجاد مستحقا بذلك شكرنا الابدي • ترى ماذا حل بالقنصلية • علمت أنهم قد فتشوها ، إلا أنهم لم يعثروا على الاسلحة كما يبدو ، ويهمني أن أعلم ماذا حل بشأنها ؟ •

والى جانب ذلك فقد كان المستر فونتانا يحاول في أوائل تشرين الاول/ أوكتوبر أن يجعل أصحابنا يقضون خدمتهم العسكريـة في حراسة الموقع •

وأتساءل فيما اذا كان قد تمكن من انجاز ذلك قبل مغادرته ، وآمل أن يتمكن رجالنا من أخراج كل شيء من الدار قبل أن يستبيحها الاتراك • إنه ليحزنني أن يتمكن أي تركي من أن يصيبني بمسدسي الخاص • ولكني على كل حال قد طلبت من الحاج وحيد وداحوم أن يهتما بهذا الامر ، فهما يستطيعان معا بسعة حيلتهما أن يتخلصا من كل شيء داخل القرية •

سيذهب وولي شرقا بصحبتي ، وعلى الاقل سيرحل يوم السبت على بواخر بي أند أو P & O ؛ ثم نرحل أنا ونيوكومب (وهو يرسـل لك السلام) يوم الثلاثاء عن طريق البر • لقد مضى علي شهران هنا أشرف على رسم خرائط لسيناء وأكتب تقارير عن المنطقة • والآن سأتوجه الى القاهرة • أن كل شيء يسير على مايرام إلا فيما يخص الاتراك• هل هناك ما أصنعه من أجلك في حصب في الربيع القادم ؟

سلامي الى بيت ، وأخبريني برقيـا اذا كان بيت مايزال يكرهني ، وكذلك دانديني[٢] • وبالمناسبة ماذا ترى قد حلّ به ؟

لورنس

٣ـ الى دي• جي• هوغارث

الاثنين ٢٠ كانون الاول /ديسمبر ١٩١٤ مكتب الاستخبارات

وزارة الحرب ــ القاهرة

وصلنا أنا ونيوكومب هنا يوم الثلاثاء الماضي بينما وصل وولي مع أوبري هربرت وآخر أسمه لويد يـوم الجمعـة • لم يكن هنا على ما يبدو قسـم للاستخبارات وكانوا يعتقدون أن كل شيء سيكون على مايرام بدونه ، حتى اكتشفوا أن ليس هناك في مصـر من يعرف شيئا عن سوريا • حدث ذلك في

اليوم الذي وصلنا فيه هناك ، لذلك تخلّوا عن فكرتهم في التخلص منا بواسطة تكليفنا بأمور الطيران ، وكلفونا بدلاً عن ذلك بجمع المعلومات • وليس هذا بالأمر السهل غير أن بيننا من الرجال ممن لهم هوى في التنقل والسفر ، ويحتمل أن هذا العمل سيكون ممتعا للغاية • يبدو أن وولي كان بالفعل راغبا في العمل في الجيش بصورة دائمة وان مجيئه هنا قطع عليه ذلك الطريق • وهو الأمر الافضل في الواقع •

لدي شك في أن الامور يمكن ان تجري بأسرع مما تصورت • من الافضل بالنسبة لكريس أن ينشر ذلك الكتاب في (كانون الثاني ــ شباط / يناير ــ فبراير) ان استطاع ، أو ان أستطعت أنت • أرجو أن لا يكون الامر سيئاً الى ذلك الحد لأن مسودة الكتاب كانت بالتأكيد كأسوأ ما تكون • من المحتمل أن يتحول الاهتمام نحو الشمال بصورة شديدة في أي وقت ، لا بل انه قد تحول فعلاً قدر تعلق الامر بنا •

غير أن نشاطنا في الاستخبارات يتميز بالتفوق ، أتصور ان هناك نوعا من الرقابة على عملنا وهو شعور مزعج للغاية ، فأرجو أن تخبرني إن كان هنالك فعلاً ماذكرت • أما تركيا فقد سبقتنا بخطوة ، وهي أنها منعت خروج ودخول الاشخاص والبضائع والبريد وأخذت كلية البروتستانت تبعث الى واشنطن ببرقيات تشكو فيها من ذلك، وياله من مكان يستغاث به• يحتمل أننا سنكون الوحيدين الذين لن يقطعوا سيل أخبارنا •

وهكذا هي طبيعة الرقباء ، كما اعتقد • هنالك في المكتب شخص يدعى تومسن من أنسباء پيرس[٣] وهو يتقن اللغة التركية ، ويبدو هذا الامر جيدا •

يقول غريس أنه سيدفع لنا عن الكتاب ، وأشك في ذلك • لكن أرجوا أن تقنعه بأن يضع ألوانا على الخارطة أو شيئا من ذلك • أرجوك أن لا تضع

اسمي على الكتاب وعلى داربيشر أن يوقع على الخارطة . ونصيحتي بشدة أن تستعجل الامر . كانت تلك البرقيات الغامضة في بداية الحرب باللغة اليونانية وليس فيها ما يستحق الاهتمام .

لورنس

٤ـ الى دي. جي. هوغارث

١٨ آذار /مارس ١٩١٥ فندقد غراند كونتيننتال
القاهرة

سوف لن تخضع هذه الرسالة للرقيب لذلك سوف أطلق لنفسي العنان . لن يستطيع الاتراك من النهوض ، فليس لديهم سوى ٥٠٠٠٠ جندي من القطعات الساخطة في سوريا ، (و ٢٠٠٠٠٠ في الدردنيل و ٢٠٠٠٠٠ في القفقاس و ٥٠٠٠٠ في العراق) ، وإن البلد كله مستاء منهم غاية الاستياء . لقد ألحق بن سعود هزيمة منكرة بابن رشيد آ ومات شيكسبير لسوء الحظ في المعركة) ، وإن الادريسي في حالة حرب مع الاتراك في العسير ، كما أن الشريف قد أعلن عن نفسه تقريبا ، فلجأ والي الحجاز مع موظفيه الى دمشق . لقد أرسلنا قطعات من منطقة القتال الى البصرة كتعزيزات لقطعاتنا (فيبدو أن القطعات الهندية هناك قليلة التماسك) ، وستذهب القطعات الاسترالية والنيوزيلندية وبعض الهنود الى الدردنيل للالتحاق بالفرنسيين وجيش هاملتون هناك . سيبقى لدينا هنا في مصر نحو من ٢٠٠٠٠ جندي .

آن الفرنسيين مصرين على سوريا التي سنتنازل لهم عنها وسيبقى موضوع الاسكندرونة التي هي المفتاح لجميع المنطقة كما تعلم . انها ستكون رأس السكة لخط بغداد ولذلك فهي المنفذ الطبيعي لشمال سوريا وشمال وادي الرافدين ، إنها الطريق السهل الوحيد من منطقة سيليسيا وآسيا الصغرى

الى آسيا وغيرها ... كما أنها مرفأ بديع للغاية . وبفضل رأس خنزير الى الجنوب يمكن أن يصبح المرفأ حصينا تماما . إنها منقطعة طبيعيا عن سوريا ، فلا هي سوريا ولا هـي آسيا الصغرى . فاذا ما وقعت بأيدي الفرنسيين فستكون صالحة كقاعدة أمينة لغارات بحرية ضد مصر ، ولا تنس أن وجود فرنسا في سوريا ، وبفرض التجنيد الاجباري هناك ستتمكن من زج ۱۰۰ ۰۰۰ جندي نحو منطقة القتال خلال ۱۲ يوما من إعلان الحرب . وليست صحراء سيناء بالعقبة الكبيرة في موسم الربيع . أو في أي وقت آخر إذا ما تم بناء خط السكة الحديد (الذي لابد من بنائه) . إن الاسكندرونة هي المكان الوحيد الذي يمكن أن يصلح كقاعدة لأسطول بحري لمهاجمة مصر بسبب عدم وجود ميناء انكليزي يمكن أن يستعمل لفرض حصار بحري عليها ، فأن اسطمبول وسمرنه تغلقها الجزر ، بينما لا يوجد قبالة الاسكندرونة سوى قبرص والتي تحيطها مياه عميقة لا تصلح لأنشاء مرفأ بحري كبير . أما اذا أستولت روسيا على الاسكندرونة فستكون هذه نهايتنا في الشرق الادنى . وفي كل الاحوال يحتمل أن يكون الفرنسيون تحت تأثير الروس في الحرب التالية . لذلك أعتقد أن من الضروري للغاية أن نحتفظ بالاسكندرونة ، ولن نكون بحاجة الى الاحتفاظ بأي مكان آخر ، لا في سوريا ولا في آسيا الصغرى. ان المندوب السامي يؤيد هذا الرأي بقوة وكذلك الجنرال ماكسويل .

لقد ألحّ علينا اللورد كيشنر بهذا الشأن . فأن ونستون يبدو غير متأكد منه وهناك شخص آخر ــ ليس هو غري ــ في وزارة الخارجية ، ربما پاركر ، يقف في وجه هذه الفكرة كليا أعتقد أن بأمكانك أن تحرك الموضوع .

ان كيشنر يقف وراءك في جميع الاحوال . فهل بامكانك أن تجد من يوحي الى ونستون أن هناك نبعا من البترول على الشاطيء (وهو ما نصح به المهندسون كثيرا إلا أن الاتراك رفضوا منح الامتيـاز) ومخزونا هائلا من الحديد قرب دورتيول على عشرة أميال الى الشمال ؟ وفحما كذلك ؟ واذكر

ايضا أن الاسكندرونة قاعدة بحرية طبيعية ممتازة (والتي نحن في غنى عنها إلا أننا لا نستطيع أن نترك غيرنا يأخذها دون إلحاق الاضرار بنا) .

ان ونستون اذا ما أستقر على أمر فهو نائله لا محالة ، كما أتصور ، وخاصة بمساعدة كيشنر . ثم أذهب الى وزارة الخارجية ان أمكن ، وبيّن لهم أن فرنسا قد منحت الاسكندرية الى الالمان بموجب أتفاقية بغداد واتفقت معهم على أنها ليست من سوريا . واقسم لهم أنها ليست جزءاً من سوريا — وأنت تعلم أن المنطقة تتكلم التركية ، وقل كذلك لوزارة الخارجية (وليس لباركر الذي سوف أزهق روحه يوما ما)

ان احتفاظنا بها آمر في غاية الاهمية . فليس باستطاعة أحدنا أن يراهن على أن فرنسا ستبقى صديقتنا دائما . فاذا ما حصلت فرنسا على جميع سوريا جنوبا من الاسكندرونة فينبغي لها أن تقنع بذلك ، أنها الآن تحاول أن تخادعنا بشأن القدس . لا عليك وأترك هذا الامر كما هو .

أن احتلالنا للاسكندرونة بعشرة آلاف من الجنود سيجعلنا أقوياء وسنتمكن من قطع ما يلي :

١ — طريق المواصلات بين آسيا الصغرى وسوريا .

٢ — طريق المواصلات بين آسيا الصغرى وبغداد حيث أتوقع أن تكون القوات البريطانية في موقف صعب قريبا .

٣ — سنتمكن من نجدة قوات القفقاس خاصة بعد أن ينتقل مركز تركيا الى كوني (قونيا ؟) .

ان علينا حسب تصوري أن نتوقع نهضة تركيا اذا ما خسرت اسطمبول . فستكون أقوى بكثير عسكريا . وأقل من ذلك سياسيا .

٥ـ الى دي• جي• هوغارث

٢٣ آذار/مارس ١٩١٥ بورت سعيد

وهذي رسالة آخرى لم يرها الرقيب •• لقد أرسلت لك في الاسبوع الماضي فيضا من المعلومات عن الاسكندرونة فأرجوك أن تحاول وضعها موضع التنفيذ لأنني أعتقد أن تلك هي فرصتنا الوحيدة لمواجهة سوريا تحت حكم الفرنسيين • أرجو أن تكون رسالتي واضحة لأنني أرسلها على عجل بحيث لم يتسن لي الوقت للتفكير فيها مرة آخرى •

ان هذا الاسبوع شيء مختلف تماما • أنت تعلم أن حكومة الهند كانت تسيطر على المنطقة العربية • وكم أساءت إدارتها لأن لم يكن بينهم من له أطلاع على سوريا أو تركيا ، وكانوا يهتمون بالخليج فقط وبالمحافظة على الهدوء في المنطقة الداخلية من عدن • لذلك دخلوا في مشاكل معقدة مع إمام اليمن وهو عدو مسموم في أحسن حالاته •

ثم نشبت هذه الحرب ، وعادت حكومة الهند تمارس لعبتها القديمة في موازنة القوى الصغيرة هناك • وأنا أريد أن أجمع شملهم جميعا وأجتاح سوريا عن طريق الحجاز بأسم الشريف • وأنت تعلم كم هي كبيرة سمعته في سوريا ولا يمكن أن يتم هذا إلا من قبل الادريسي لذلك استطعنا تدبير تحالف بديع وأعطيناه كل ما أراد ؛ ثم رفضت حكومة الهند ان توقع الاتفاق • لذلك صببنا على رأسهم اللعنات وأتصور أنني سأذهب مع نيوكومب الى كونفيدا كمستشارين له • فاذا كان الادريسي جيدا كما نرجوا ان يكون فسنتمكن من الأندفاع نحو دمشق ونحرم فرنسا من كل أمل لها في سوريا • انها لعبة كبيرة• بل وتستحق أن نجرب أن نلعبها •

ان حكومة الهند لا فكرة لديها عما نحن بصدده . فلو أستطعنا أن نصل الى العسير فسوف نتمكن من اتمام بقية الامر أو أن نحاول أن نتمه . لذلك اذا ما كتبت لك وأخبرتك أنني راحل فستعلم الى أين . ألا يعجبك أن تكون مشتركا في الموضوع ؟ ولو أنني لا أستطيع ضمان فرصتي مرة أخرى . ليت حكومة الهند تطلق لنا الحرية بالذهاب . ألن يصاب الفرنسيون بالغضب فيما لو نجحنا ؟

ارجو ان تتكلم عن هذا الامر الآن .

لورنس

٦ ـ الى دي. جي. هوغارث

٢٠/٤/١٩١٥

دائرة الاستخبارات العسكرية
وزارة الحرب ـ القاهرة

أعتقد أن لن يكون هناك أي مشروع جيد في أي وقت من الاوقات ، وأقل ما هناك أن كل شيء يغلي ويضطرب ويقال لنا أن نتهيأ لنبدأ يوم الخميس من الاسبوع القادم . ثم لن يتحقق ذلك الخميس . وأخيرا ظهرت الى الوجود قوات حملة البحر المتوسط[٤] وهي سيئة التجهيز والتهيؤ ولا علم لها بالمكان الذي ستذهب اليه أو بما ستواجهه هناك أو بما ستفعله . لذلك أخذتنا الشفقة بها ووافقنا على ان نكون لها قاعدة للاستخبارات ومصدرا للخرائط فعلينا إذن أن نبقى هنا حتى نهايـة الحملة . فذهب مـع القوات كل من لويد وهربرت لمساعدتها بينما بقينا أنا ونيوكومب في موقعنا . أما وولي فهو في بور سعيد لتدبير الاسطول الفرنسي . فالوضع كئيب اذاً ، غير انني بطبيعة الحال ينقصني التدريب كضابط ميدان ، ولا أدري ان كنت أرغب الذهاب الى القسطنطينية

للقتال هناك . ان ذلك قد يكون تدبيرا سيئا حسبما أعتقد . أن المكان الوحيد الذي يستحق الزيارة هي الاسكندرونة . إلا أنهم جميعا خائفون من الذهاب هناك خشية أن يجرحوا شعور حلفائنا .

لا تزال منطقة القتال صامدة ونسينا أمرها فاذا كان لتركيا شيء من الحكمة فستغير عليها من وقت لآخر لازعاج حاميتها الكبيرة التي تفتقد المرونة حيث يمكنك ان تسمع فرقعة مفاصلها قبل أن تحركها بثمانية ساعات . لذلك فإن من السهل الاغارة عليها بالقنابل والانسحاب بسرعة قبل ان يتمكن المدافعون عنها من عمل أي شيء .

أن كل شيء يميل الى النوم ، والحرارة هذا النهار تبلغ ٩٠° (فهرنهايت) في الغرفة ويشعر الواحد منا بالكسل والملل .

قبل بضعة أيام أشتريت لك ختما وربما سيكون الوحيد الذي سيصلك منا هذا العام ، وقد تكون تلك فضيلته الوحيدة . وقد لا يكون من الممكن شراء ذلك في أي مكان آخر سوى القاهرة ..

وأبعث الى ليدز قبضة خنجر تعود الى القرون الوسطى ، أو قطعة من (جهاز الفرس) تم شراؤها في القدس مؤخرا .

اما المسكينة تركيا فلا تكاد تتماسك ببعضها ان الناس يتحدثون بأستمرار عن أنتصاراتها الاخيرة غير أن الحقيقة هي أن الكلمات لا تستطيع التعبير عن الاسى نحوها ، ان كل أمورها تعاني من الخور وأكاد أعتقد ان من الخير أن ينتهي أمرها ، ولو أن ذلك لن يكون مناسبا بالنسبة لنا . وأرجوا أن لا يكون مصير دمشق وحلب كمصير القاهرة . فليس هناك أمرّ من مبانيها أو أهلها المزعجين .. وكان علي أن أضع فيهم ثقتي قبل ستة أشهر . أما كارچميش فهي قرية يسكنها أنظف وأنبه الملائكة . توقعت أن أجدك بين هيئة الركن في قوات حملة البحر المتوسط ، وعلى كل حال فليس بينهم شخص معين سوى

أحدهم يدعى ويدز (وهو يجيد التركية) والعقيد هوكر الذي كان سابقا في قوات الجندرمة العثمانية عن أستحقاق • لم يكن بحوزة قوات حملة المتوسط سوى نسختين من خرائط القسم الاوربي من تركيا بمقياس ربع عقدة • وأرجو أن تحصل لي على بعض الخرائط عن شمال سوريا من مجموعة بتلر(٥) وقل له ان خرائط ١٩٠٥ لا خير فيها •

لورنس

[فكر الجنرال طاوزند في خطة يقنع بها الاتراك الذين يحاصرون قواته في الكوت بفك الحصار عنها مقابل مبلغ من المال • وتبنى هـذه الخطة أيضا اللورد كشنر ونالت قبول الجنرال ليك القائد العام في العراق • إلا أن معظم الضباط البريطانيين في العراق كانوا معارضين لها لشعورهم بأنهـا خطة غير مشرفة • وعارضها كذلك السير برسي كوكس باعتبارها تؤذي هيبة بريطانيا أكثر من استسلام حامية الكوت للاتراك • أما لورنس فقال عنها أنها خطة غير عملية لأن الاتراك سيرفضونها حتما •

غير ان الانكليز بعثوا العقيد بيچ وأودري هربرت ولورنس الى القائد التركي خليل باشا لمحاولة إقناعه ليعرضوا عليه مبلغ مليون باون أول الامر وان رفض فمليوني باون لكي يخلي سبيل الحامية الانكليزية المحاصرة في الكوت•

رفض خليل باشا هذا العرض بأحتقار ولجأ بطبيعة الحال الى الاعلان عن تفاصيله مما ألحق أفدح الضرر بسمعة بريطانيا • وعند عودة لورنس الى مصر قدم تقريرا عن العراق وجّه فيه ، على حد تعبير العقيد سترلنك ، انتقادا الى نوعية الاحجار المستعملة في الطباعة الحجرية ونظام رسوّ السفن على الارصفة النهرية وعدم كفاءة الرافعات التي تفرغ حمولات السفن وعدم وجود طريقة منظمة في ادارة خطوط السكك الحديدية والنقص في التجهيزات الطبية وعدم إدراك الهيئات الصحية لحاجتهـم الحقيقية من المواد الطبية • والامر الاشد

خطورة من ذلك أنه وجّه انتقادا للقيادة العليا وطريقة إدارتها لحملة العـراق بصورة عامة •

وأسرع ضباط الركن في مصر الى تخفيف لهجة التقرير قبل ان يعرضوه على السير آرشيبالد موري القائد العام في مصـر • لقد كانت زيارة لورنس الى العراق وانتقاداته الشديدة بدايـة لمرحلة العداء الذي حملته له حكومة الهند والسلطات العسكرية هناك والذي أستمر حتى نهاية عمله مع الحكومة• ولم تتحقق آماله بأشعال نار الثورة بين العرب ضـد الاتراك وارساء أسس التعاون بينهـم وبين الجيش البريطاني • لقد كان آخر ما يفكر فيه الضباط البريطانيون في جيش الهند هو أن يكونوا حلفاء للعرب • كما أن ادارة الهند كانت تتطلع الى فصل العراق • ولم يجد لورنس من يتعاطف معه في العراق سوى المسز جرترودبيل • وقد وجّه ليدل هارت سنة ١٩٣٢ أسئلة كثيرة الى لورنس من بينها الاسئلة والاجوبة التالية :ــ

٣٣ ــ كيف وصلتك التوجيهات عن مهمتك في العراق ؟

تمكنت من إيجاد صلات بين الدوق الاكبر نيقولا (الروسي) وعدد من الضباط العرب المتذمرين (في الجيش التركي) في أرضروم • وقمت بذلك من خلال وزارة الحرب وملحقنـا العسكري في روسيا • لذلك اعتقدت وزارة الحرب أن بأمكاني أن أصنع الشيء نفسه فيما يتعلق بالعراق فأبرقت بذلك الى كلايتن •

٣٤ ــ متى أصبحت برتبة كابتن ؟

كنت برتبة كابتن في هيئـة الاركان • ثم فقدتها بسبب ذهابي الى العراق لذلك دبّر لي هيدلي رتبة كابتن محلية] •

٧ـ الى والـدتـــه

١٨ أيـار /مايو ١٩١٦

نحن الآن في البحر ، في مكان ما قرب عدن ، لذا سـأحكي لك بعض ما رأيته في العراق قبل فوات الوقت • وعليك أن تغفري لي سوء الخط لان السفينة تهتز بشكل غير عادي • أنطلقت الى هناك في الثاني والعشـرين من آذار/مارس كما أخبرتك ، على مركب يسمى رويال جورج وهي باخرة كندية مريحة ، فوصلنا الكويت دون أن يحدث ما يستحق الذكر • وفي الكويت ، وهي مرفأ ينفتح واسعا على البحر تحيطه كثبان رملية واطئة ويتسم بالقفر سوى المدينة التي انتظم بناؤها ، انتقلنا الى سفينة بريد سريعة (تسمى أليفانتا) ذات حمولة ٦٠٠٠ طن • أخذتنا هــذه السفينة عبر الحاجز الطيني في مدخل شط العرب صاعدا الى البصرة نهارا • كان اجتماع النهر مــع البحر عند الحاجز الطيني بارزا بشكل واضح لأن ذلك النهار كان هادئاً • كان النهر يصب في البحر بسيل رمادي ــ أخضر ثم يتوقف هذا السيل فجأة عند البحر الذي كان لونه غامق الزرقــة • كان الحد واضحا بين جهتي الماء بحيث يمكن للمرء أن يضع قدما في كل جهة من الجهتين •• ولم يكن الخط الفاصل مستقيما حيث كانت حركــة المد تدفعه من عدة جهات ، كما يمكن متابعته لبضعة مئات من الياردات على جانبي السفينة • وعمق هــذا الحاجز الطيني ثمانية عشر قدما عند ارتفاع المد إلا أنه في الحقيقة ليس سوى طبقــة من الطين السائل الذي تشقه السفن عند عبورها • ويبدو منظر رفاس السفينة غريبا وهو يقلب هذه المادة كأنها عجينة من الشوكولاته • [أهملت ٤٩ سطرا] •

لا أدري بالحقيقة مــاذا أقول عن البصرة ذاتها • أن ازدحام السفن في النهر هو الدليل على أننا وصلنا ، وكذلك وجود عدد قليل من البيوت عند ضفة النهر أما المدينة نفسها فتقع على مسافة ميلين او ثلاثة عن شط العرب على

أمتداد نهر فرعي لا يتسع عمقه إلا لقوارب صغيرة • الا أن مقرنا العسكري يقع عند ضفة شط العرب ثم ان هناك عادة الكثير من الزوارق الصغيرة على امتداد الساحل ، غير أنه ليس هناك أرصفة او مستودعات أو طرق أو أي شيء يدل على أن هناك ميناء ، بحيث لا يستطيع المرء أن يحلم بأننا نحتل هذا المكان منذ شهور وشهور •

وعندما نزلت البر كان المطر ينهمر وقد خيم الظلام • وكان الضابط الذي أصطحبني قد جاء معه بمصباح ، فأنزلقنا فوق شيء أشبه بالصابون اللين (أو التوفي) لمسافة ثلاثمائة ياردة • ثم تحسن الطريق لأنهم قد وضعوا طبقة من الحجارة فوق الطين فأستطعنا ان ننتصب واجتزنا حديقة نحو دار المقر العسكري (ولا أدري كيف تمكن حذائي أن يقاوم قوة الطين الصمغي في بداية الطريق) كانت الدار منيعة ضد المطر وهناك وجدت المسز بيل وكامبل-تومبسن ، وهكذا أنتهى الامر بسلام • [اهمال ٤٣ سطرا] •

لم أبق في البصرة سوى ثلاثة أيام لأن القائد العام وكافة هيئة ركنه كانوا في الجبهة • وأعطاني ضابط القاعدة شيئا من البسكويت وعشرة أرغفة من الخبز وعشر علب من المربى ومثلها من اللحم ووضعوني على متن سفينة بخارية صغيرة كانت تعمل سابقا كعبارة في (أيراوادي) • كان قسمها الاسفل مشغولا بالمحركات وقسمها العلوي سطحا منبسطا تظلله سقيفة • وكان القسم الامامي من السطح مشغولا من قبل حوالي ١٥٠ جندي محلي ، ووراء مدخنة السفينة كان هناك فضاء صغير جلس فيه عشرة كنت من بينهم ، ولدى كل واحد منا عشر علب وغير ذلك • وعلى كل جانب من جانبي السفينة البخارية ربطت جنيبة (barge) حديدية طولها مائة قدم ملئت بالحطب والعلف والاحمال• وكان الغرض من ربط الجنيبتين بالسفينة أن تزاد حمولتها أولا ثم ان تعمل على حماية مجاذيف دواليبها اذا ما أقتربت من شاطيء النهر •

شرعنا بالحركة بعد الظهر ، وسرعان ما بدأ المطر ، لذا لجئنا الى الفراش [اهمال ٩٠ سطرا] •

ان العرب في هذا البلد أشداء للغاية ، أشد وأفقر من الناس في جرابلس، إلا أنهم مرحين وكثيري الكلام • انهم يقضون حياتهم في الماء ولا يبدو عليهم انهم انتبهوا الى ذلك • سوف لن أنسى منظر الفيضان الذي غطى أرضا سعتها عشرين ميلا تقريبا طـولا وعرضا بالقرب من قبر عزرا (العزير) حيث فاض النهر على ضفتيه الى أبعد من مدى البصر ، وفي وسط هذا الفيضان كان ثلاثة رجال يخوضـون الماء الى حد رقبتهم وهـم يتلمسون بأرجلهـم حافة النهر المغمور ساحبين وراءهم (مهيلة) محملة معاكسين مجرى الماء • لابد أنهم قد سحبوها وراءهم سباحة او خوضا لمسافة عشرة أميال ، وأقرب أرض يابسة يأملون الوصول اليها على هذه الشاكلة لن تكون أقرب اليهم من عشرة أميال آخر • [اهمال ٣٣ سطرا] •

وعند الجبهة وجدت مقر القيادة يعيش في باخرة نهرية ذات سقيفة حسنة وصالون • ومكثت معهم حوالي ثلاثـة أسابيع حتى سقطت الكوت • لقد خسرنا الكثير من الرجـال في بدايـة محاولتنا أنقاذ الحاميـة المحاصرة ، ثم بذلنا كل جهدنا مرة اخرى ، وفي النهايـة أصاب التعب الجميع • ثم تحسن الطقس فأخرج أعدادا هائلة من الذباب ، فكانت السقيفة تتحول فجأة عند مغيب الشمس من اللون الرمادي الى اللون البني عندما تحط عليها أسراب الذباب والبعوض • وكان على أفراد الخيالة أن يسيروا أحيانا بسرعة المشاة لكثافة البعوض الذي كان يحجب عنهم الرؤية •

وذهبنا أنا والعقيد بيچ وأودري هربرت (الذي كان معنا في القاهرة) لنواجه القائد العام التركي لنرتب معه ان امكن مسألة اطلاق سراح الاسرى المصابين أثناء الحصار • رفعنا من خنادقنا الاماميـة رايات بيضاء ثم نهضنا ومشينا نصف مسافة الخمسمائة يارة التي كانت تفصل بين خطوطنا الامامية

وخنادق الاتراك • حضر عدد من الضباط الاتراك لمقابلتنا فبينا لهم ما نريد • كانوا على ما يظهر قد أصابهم التعب من اطلاق النار لذلك أبقونا جالسين هناك مع رايتنا البيضاء كهدنة مؤقتة بينما بعثوا بالخبر الى خليل ، وعند العصر عصبوا عيوننا وساروا بنا عبر خطوطهم مسافة حوالي عشرة أميال الى الغرب (حتى مسافة أربعة أميال عن الكوت) حيث مقر قيادة خليل باشا • وهو ابن أخ لأنور باشا وكان تعرض لاندحار كبير في جبهة القفقاس لذلك بعثوه كقائد عام في العراق أملا في أن يكتسب شهرة بذلك • ويبلغ من العمر ٣٢ أو ٣٣ سنة ، جم النشاط والحيوية • غير أنه تنقصه البراعة والذكاء كما أعتقد • وخاطبنا بالفرنسية وكان مؤدبا جدا ، غير أنه بطبيعة الحال كان يمسك بجميع الاوراق فلم نستطع ان نحصل منه على الكثير • وعلى كل حال فقد وافق على اطلاق سراح ألف أسير من الجرحى بدون أي شرط سوى اطلاق سراح عدد مماثل من الاسرى الاتراك ، وهو أقصى ما كنا نطمع فيه • قضينا الليلة في معسكره وقدموا لنا أفخر عشاء على الطريقة التركية ، وأنبسطت له أنا وأوبري إلا أنه كان شيئا جديدا بالنسبة للعقيد بيچ • وفي الصباح ألقينا نظرة على مدينة الكوت عن بعد ثم عدنا الى خطوطنا معصوبي الاعين كالسابق • اصطحبنا معنا ضابطين تركيين شابين كان أحدهم صهرا لأنور باشا وعادوا بعدئذ من معسكرنا الى الكوت على متن السفينة التي أرسلناها لنقل الجرحى•

لقد أخذ الشعور العدائي بين العرب والاتراك يتنامى بحيث لم يعد خليل باشا يثق بأي من العرب في خطوط النار • لم يعد لدينا بعد ذلك ما نفعله فعاد ضباط ركن المقر العام الى البصرة • وصلنا هناك حوالي الثامن من الشهر وقضيت أربعة أو خمسة أيام أرتب الامور حتى بدأت رحلة العودة ومعي على ظهر السفينة جنرال أسمه غيلمان Gillman من قرب أبنكدن وهو حسن الصحبة ، ونحن نجلس على السطح نكتب التقارير والملاحظات طيلة النهار • كان الطقس في البصرة قد بدأ يصبح حارا عندما غادرتها غير أن أقصى درجة

حرارة وصلناها كانت ١٠٥ فهرنهايت في الظل ولم نصادف أي نهار أو ليل بارد لحد الآن ، فالمحرار لم يهبط تحت الثمانين وذلك ما يسرني • وأتوقع أن يكون البحر الاحمر على نفس الشاكلة • ترى هل أخبرتك في رسالتي السابقة عن العاصفة البديعة التي صادفناها في الكويت ؟ كنا على ظهر الباخرة رويال جورج وأبتدأ البرق في الثالثة عصـرا • وكثر البرق بعد الغروب ولما كانت الساعة التاسعة أخذ البرق يظهر من ثلاث جهات بدون انقطاع تقريبـا • كان الرعد قليلا ولم يسقط المطر سوى لبضع دقائق • كان وميض البرق كالقماش المخرم المنشور عبر السماء بلون أخضر غامق يصحبه صوت فرقعة يكاد لا ينقطع • كان ضوء البرق يساعدنا على رؤية ما حولنا بوضوح لمسافة ميل أو ميلين • كان البريق القادم من جهات ثلاث يترك أنطباعا بالغربة المخيفة لاننا تعودنا أن نرى البرق في جهة واحدة فقط • وظهرت أشباح السفن في الميناء في ضوء هذا الوميض كأنها تخفق وتتحرك • ثم انتهت العاصفة بهبة مفاجئة من الرياح الجافة جعلت سفينتنا تتأرجح (وكانت ترتفع بهيكلها حوالي ٨٠ قدمـا فوق سطح الماء) وأوشكت أن تقلبها فوق مركب شراعي صغير كان يرسو الى الجنب مناء كانت صاريته الوحيدة لا ترقى الى ارتفاع سطح سفينتنا التي مالت حتى كادت تنقلب عليه وتغرقه •

(كما كنا قد صادفنا عاصفة رائعـة في كار چميش في احـدى الليالي لا أدري ان كنت حكيت لك عنها سابقا ــ وكان المستر هوغارث و آلفوتتانا يمكثون معنا)•

كان اسبوعا باردا جدا فأجتمعنا كلنا بعد العشاء حول الموقد حيث كانت النار تشتعل بحطب من أخشاب شجر الزيتون • وأرسل لنا بصراوي عازفيه حسب طلبنا • كان أحدهم شيخا مسنا قضى معظم حياته راعيا للغنم • كان ذا لحية بيضاء ووجـه هاديء غضّنته الشمس • كان يعزف على أنبوب طوله قدمان صنع من نوع من القصب لكنه ظهر شبيها بالنحاس المصقول • كانت

نغمة آلته ذات صوت أجش إلا أنه أشبه بالفلوت وذا طبقات بديعة . فكان ينتقل من النغمة العالية الى الواطئة جـدا وكأنه صوت الرياح وهي تلامس جوانب التلال الصخرية ويسمع لها حفيف وهي تمر فوق العشب اليابس عند الوديان . أما الآخـر فكان أصغر سنا ويعزف آلـة ذات وترين [كلمة غير مفهومة ربما كانت « ربابة »] وهو يغني . كان أكثر سمرة وأنحف وجها وذا عينين عميقتين . واعتقدته كان أعمى . فهو قد لف عمامة كبيرة أنخفضت على جبينه فأبقت وجهـه مغمورا بظل كثيف ... وكان على كل حال يبقي عينيه مغمضتين وهو يغني . وعندما هبت العاصفة فجأة كانا يعزفان ويغنيان أغنيات حب وأناشيد حرب كردية منذ نصف ساعة . وانهمرت سيول المطر يسمع لها حفيف واخذت تتساقط مرتطمـة بضجيج فوق ألواح السقف في باحة الدار وكأنها وقع أقدام حشـد كبير من الرجال ، ثم تسمع قرقعة هدير الرعد بعد ومضـات زرقاء من البرق والتي جعلت بابنا المفتوح وشباكنا يبدوان كأنهما منافذ شاحبة في الجدار الحالك السـواد ، نرى من خلالها ملامح المنحوتات التي كانت تلمع في الساحة تحت المطر وومضات النور . وأذكر خاصة منظر ذلك التمثال ذي السبعة أقدام طولا لأله يلبس خوذة ، وتمثالي الأسدين في قاعدة العمود وقطرات المطر تسيل من فكيهما، وقد ظهرا من خلال ومضات البرق وكأنهما يبتسمان لنا من خلال النافذة . لم يتوقف الموسيقيان عن العزف اثناء العاصفة إلا انهما صارا يرتجلان غناءً له ايقاع يتناسب مع العاصفة . فكأن انغام المزمار تسرع وترتفع مع صوت الرعد ثم تنخفض وتتباطأ عندما يسكت. قد لا يستطيع المرء ان يدرك أن العازفين ينشدان منفردين . فقد بدأ ايقاع غنائهما وكأنـه وليد دفقات الريح والمطر فتجمع عناصر الليل لتكون اغنية عظيمة للعاصفة . لم يطل الامر اكثر من عشـر دقائق ، إلا أنني مررت آنئذ بأبدع أوقات حياتي ... وعندما هدأت العاصفة أنتهى كل شيء فجأة ، فلم يكن هناك ذلك الانسحاب البطيء التدريجي الهادىء الذي يعقب العاصفة .

وها أنني قد كتبتُ لـكِ ما يكفي شهرا من الرسائل • فماذا سيصنع الرقيب عندما يجد بين يديه هذا العدد من الصفحات وهل سيطلقها ؟ وأعتقد انه سيفعل حيث لا يوجد فيها ما ينفع اعداءنا ــ ولستِ منهم انصافا لكِ • ومن الآن فصاعدا سألزم ذلك المكتب في القاهرة •• وهو المكان الوحيد المقبول في المنطقة حتى يستقر أمر الشرق الادنى • أنني لسعيد ان تمكنت من مشاهدة بلاد مابين النهرين وقت الحرب • ولابد أن ذلك المكان سيكون بلدا مدهشا يوما ما اذا ما سيطروا على الفيضانات وحفروا قنوات الري • غير أنه لن يكون بلدا يستطيع الاوربيون أن يعيشوا فيه حياة أعتيادية •

أتوقع أن أجد أمامي في القاهرة أكواما من الرسائل التي تراكمت خلال شهرين من غيابي في العمل والاستمتاع لذا أرجو ان لا تتوقعي مني أخبارا بسرعة •

لورنس

[فيما يلي مقالة خالية من التوقيع في « النشرة العربيـــة » لاريب إنها بقلم لورنس] •

٨ــ بـــلاد ما بين النهرين

النشرة العربية ــ العدد ٢٣

تحدث خليل باشا ، القائد العام التركي في العراق بصورة حرّة تماما مع الضباط البريطانيين الذين رتبوا معه قضية تبادل الجرحى من الاســرى عن قضية موقف العرب • أقترح أول الامر مبادلـــة الجرحى من الجنود الهنود مقابل الاســرى من الجنود العرب إلا أنه غيّر موقفه بعدئذ ورفض أن يقبل تبادل الاسرى العرب اطلاقا ، وقال ان معظمهم قد حكم عليهم بالاعدام وان

عادوا فسينفذ فيهم حكم الاعدام وهو لا يرغب في عودتهم على كل حال • ثم قال أن تسعين بالمائة من الجنود الاتراك جنود جيدون وان تسعين بالمائة من العرب جنود رديئون ، وان كل ما يتمنونه هو أن يؤخذوا أسرى حرب وأن جميعهم لا يعتمد عليهم ولما واجه أحتجاجا على قوله أستثنى من هذا الاتهام بعض العرب من الموصل وسوريا الذين قال عنهم أن مالديهم من فضائل يعود لكونهم اكتسبوا ما يكفي من الطبع التركي • وأتفق معه قاسم بيك رئيس أركانه على كل ما قاله ويبدو ان الضباط الصغار الذين ألتقينا بهم يشاركونهما الرأي • ولما ذكرتهم بقضية سامي بيك قالوا أن الحرب الروسية سنة ١٨٦٠ وعملية الدفاع عن قارس انما هي مسألة مختلفة حيث كان العرب ما يزالون موالين للامبراطورية العثمانية • واعتبر الملازم محمد رضا أن القبائل الكردية تشبه العرب في عدم ولائهم وعدم رغبتهم في القتال • وقد يؤيد هذا الرأي التقارير السابقة عن التذمر بين بعض فروع القبائل الكردية ضمن التحالف الملي •

ثم بحثت مع خليل باشا قضية مصير العرب من سكان الكوت • فقد أظهر هؤلاء شعور الصداقة نحونا بصورة عامة إلا أنهم لم يطلب منهم الاشتراك فعليا بالعمليات العسكرية • ولما كان إستسلام طاوزند قد تم بدون قيد أو شرط فقد كان من غير الممكن وضع أي شرط بشأن كيفية معاملتهم ، إلا أن خليل باشا قد واجه الحاحا قويا بضرورة ممارسة الاعتدال وأن يعامل سكان الكوت على أنهم وجدوا أنفسهم مجبرين على التعاون معنا بفعل القوة القاهرة فقال ان لا نية لديه بالتشدّد في هذا الامر وبدا له أن اهتمامنا بهؤلاء الناس مسألة مسلية •

غير أنه لم يلتزم بما أتفق عليه وقد شنق تسعة أفراد لحد هذا التاريخ ، وهم ضابط تركي هرب من الخدمة ، ومقاول يهودي ، وأحد الشخصيات المعروفة في الكوت مع ولديه وأثنين من مختاري المحلات وأثنين من شيوخ

العشائر البارزين • ان سجل حياة خليل في الخدمة العسكرية الذي يشير الى أنه أمضى عدة أشهر يطارد الاكراد في منطقة (وان) قبل الحرب ، ومذبحة شنيعة ضد الارمن في منطقة ميلاز گرد يجعل من عمله هذا في الكوت يبدو وكأنه مليئا بالرحمة والانسانية • وتأيدت أخبار هــذه الاعدامات من قبل الضباط البريطانيين الذين اشتركوا بعملية أخلاء الجرحى من الكوت • ويروى أن أحد الذين أعدموا قد رمى بمسبحته الى أحد الضباط الانكليز من فوق رؤوس الاتراك عندما كانوا يقودونه نحو المشنقة • وقد يكون الرجل أحد الشيعة ، وربما كان فعلا كذلك ، ورغم ذلك فأن هذه الفعلة شيء لم يسبق في المجتمع الاسلامي المعاصر •

ملاحظة : ان ملاحظات خليل عن العرب وحادثــة المسبحة في الكوت قد رويتا من قبل ضباط بريطانيين استطاعوا بفضــل الاتراك أن يحضروا حيث وقعت هاتان الحادثتان ، فيجب لذلك عدم اذاعتهما بأي شكل من الاشكال • إنما ذكرتا هنا كدليل واضح عن نوع العلاقة بين الاتراك ورعاياهم العرب في العراق •

٩ـ الى العقيد سي• أي• ولســن

١٩١٦/١٢/٦ من ينبع

عزيزي العقيد ولسن

وصلت أمس عائدا ووجدت برقيتك التي تخبرني بها أن علي أن أبرق لك بسرعة عن أي أمر حرج • وحقيقة الامر أن الشــيء الوحيد العاجل هو الحاجة الى إستطلاع جوي فوق بير سعيد وبير جابر ووادي صفرا ــ وان ذلك غير ممكن حتى ينتهي العمل في المطار (عصر هذا اليوم) لكي أستطيع توجيه الطائرات الى مواقع هذه الاماكن • (واذا ماصعدت معهم في الجو فسوف

أدلهم على الطرق) • ومالم يكـن لدى الطيارين خرائط أفضل أو معرفة عن المنطقة فسيكونون كمن يطير في الظلام ، ولن تكون لتقاريرهم فوائد تذكر • وفي الحقيقة أننا لم نسمع منهم أية أخبار لحد هذا الوقت • قد لا تكون لديهم أية أخبار أو أنهم يجهلون أننا في هذا المكان • أما بشأن الابراق لك بسرعة فليس ذلـك ممكنا من سفينة الضابط البحري الاقـدم • ان الاضطرابات الكهربائية في الجو هي الآن بحالـة سيئة وان الاسبقية تعطى للبرقيات التي تخص أمور البحرية وبطبيعة الحال فأن لدى الضابط البحري الاقدم الكثير من البرقيات • لا أتصور أن برقيتي عن الاحوال في معسكر فيصل ستتمكن من الوصول قبل بضعة أيام لكونهـا طويلة جدا وسيبقى الحال هكذا حتى تكون لنا محطة أتصال خاصـة بنا • لقد أسفت لأن زورق نقل الرسائل قد توقف عن العمل ، ولولا ذلك لكان الاتصـال مع رابغ أسهل ولأصبح عدد البرقيات أقل •

ستصل الباخرة (منتو) هـذا اليوم وسأبعث بواسطتها مباشرة الى القاهرة تفصيلا عن برقيتي رقم ٢٩ وأتوقع أن يصل بأسرع مما تصل البرقية نفسها عن طريق مقركم • ان الموقف رديء بالتأكيد ــ وبسبب الارتباك الناتج عن تناقض التقارير والمبالغات الواضحة التي تنتشر هنا لا يكاد المرء يعرف الكثير • وأخشى أن معنويات قبيلة حرب قد أهتزت بشدة واذا لم يبق أمام فيصل سوى الاعتماد على جهينة فسوف يضعف ذلك كثيرا من هيبته وقدرته على العمل • وعلى كل حال فحالما تصلنا الطائرات فسوف أزور المنطقة وأحاول أن أتعـرف على نوايا فيصل والاتراك عـن كثب • (لأن الوكلاء لم ينفعونا كثيرا) • وإن فيصل يعاملني بكل لطف ويدعني أسأل وأسمع وأرى كل شيء• بما في ذلك وكلائه • ولا أزال بطبيعة الحال أتحرك مدعياً إنني ضابط سوري مما يجعل طريقتي في التصرف غريبة بعض الشيء •

لقد كادت الايام الثلاثة في التنقل أن تقضي عليّ تعبا . فأولا لم أحصل إلا على ساعة واحدة من النوم في اليوم الواحد واتعبنا السفر على ظهور الجمال يضاف لذلك قلقنا وانفعالاتنا الشديدة في المعسكر . اما عن متى سأخرج للميدان مرة آخرى ، فإن ذلك يعتمد تماما على ما ستصل اليه الامور . فان أوامر الجنرال كلايتن لي كانت أن أنزل الى البر وأصنع ما أراه مناسبا ومن الصعب أن تحدد الاوامر بشكل أدق . لا أفهم تماما ماذا يقصد السردار بأن أقوم بالاشراف على « قضية التموين » . ان جميع ما يصلنا نسلمه الى عبدالقادر ، وكيل الشريف ، وهو في الباخرة ، فيقوم بتفريغه وخزنه . فليس أمامنا سبيل الى التدخل في الامر وليس ذلك شيئا مرغوبا حسبما أعتقد . فإذا وضعت قائمة بحمولة كل باخرة متجهة الى ينبع ، بالانكليزية كتبت أم بالعربية ، فكل ما يتطلبه الامر هو تسليم تلك القائمة الى عبدالقادر وأخذ إيصال منه بأستلام محتويات القائمة . ان تدخلنا بالامور التنظيمية الداخلية ليس هو ما يجب ان نشجع عليه . سألتك أن تجعلني على علم كل آونة وآخرى بشأن الشريف عبدالله وتحركاته . فاذا ما تقرب من مواضع الاتراك فسيكون ذا فائدة لعمليات وادي صفرا . ان وصول معلومات كاملة الى فيصل تمكنه من تنسيق العمليات . وبطبيعة الحال من الجائز أن لا تكون لديك أية معلومات . ان عزلة المرء في ينبع وانعدام الصلة بكل شيء تجعله عاجزا عن معرفة أية أخبار بريدية . فهل بأمكانك أن تبرق لي كلما أستجد أمر تطلب فيه معلومات عن كذا أو كذا ؟ أن أحدنا ليتعود على مايراه حوله مباشرة فينسى ان ذلك أمر غير معروف في الخارج .

المخلص لورنس

١٠- الى العقيد سي٠ ئي٠ ولسن

١٩١٦/١٢/٢٢ ينبع

عزيزي العقيد ولسن

شكرا جزيلا على قائمة التموين ٠ فلا يمكنني أن أضيف أو أنقص منها شيئا ٠ إلا أن كل ما أتمناه هو أن يقبلوا هـذه القائمـة في مصر ويتصرفون بموجبها ٠ إنني على ثقة أن ما يجب علينـا أن تتجنبه هو مضاعفة عدد هيئة الركن البريطانية في الحجاز وكذلك مدى فعالياتها ٠

وصلتني برقيتك ليلة أمس تفيد بأنك قد تصل إلينا في الخامس والعشرين أو السادس والعشرين من الشهر ٠ سوف أسعى لاستقبالك إلا أنني أتأمل أن أتصل بفيصل أولا لكي أجعلك على علم بنواياه ، ان كان في ذلك أي نفع ٠

ان المركز الستراتيجي للعمليات التركية الموجهة ضد فيصل هو بير سعيد لانهم يستطيعون من هناك أن يهددوا مؤخرته وقاعدته ، وهو بنفس الوقت لا يستطيع ان يقطع طريق وادي صفرا أو خط سكة الحديد بأي شكل مضمون مالم يحتو بير سعيد أو يحتله ٠ ولما لا توجد لديه أية قطعات تكفي لاحتواء الموقع فما عليـه الا ان يتحرك ضده ٠ فإذا أحتل بير سعيد فان الاتراك على ما أظن سوف ينسحبون من حمرا الى الخلف ٠ والى جانب ذلك فان قطعاته ماتزال غير قادرة على العمل وهو يخمن أنه بحاجـة الى اسبوع لكي يجعل جهينة وقبيلة حرب الشمالية يعاودون نشاطهم ٠ ان الدافع الذي جعله يتحرك الآن الى الامام هو أنه يشعر بقلق شديد بسبب التحشد التركي ضد علي ٠

انني أزود الكابتن بويل بكل مالدي من معلومـات ، وربما سيكون قادرا على أن يبين كل ما يجري هنا ٠ أظن أن الموقف يدعو للتفاؤل اذا لم يكن لدى الاتراك قوة كبيرة في وادي صفرا ٠ وبخلاف ذلك فسنواجه كارثة في

القريب العاجل • يقول فيصل ان ليس بأستطاعته إرسال جواسيس الى الوادي إلا أنني أتأمل أنه سيستطيع من أسـر بعض العسكريين ذوي الاطلاع وقد يمكننا بذلك أن نعرف ما نريد •

ان المعلومات المرفقة والتي حصلنا عليها من الفرد الذي هرب من القوات التركية قد تكون ذات فائدة للمكتب العربي في القاهرة اذا ما وصلتهم بالوقت المناسب • إلا أنه ليست هناك أية باخرة قريبـة الابحار حاليا • وليست لدي نسخة من الاوراق إلا أنني أستطيع جمع المعلومات من خلال ما سجلته من ملحوظات •

انني أتأمل أشياء مهمة من (ثماني كلمات لم تذكر وهي اسم جاسوس عربي يعمل بين القوات التركية) • لقد زودناه بقائمة طويلة بانقاط التي نريد معلومات عنهـا • أما بشـأن النقود فلدّي خمسون جنيهـا ذهبا أستعملها لمصروفاتي الخاصة ولأحتياجات الاستخبارات • وستكفيني لأشهر عديدة على هذا المنوال • طلبت أن ترسـل البرقيات أعتبارا من اليوم بالشفرة البحرية ، ولما سأكون على البر فإن عبدالقادر سيرسل لي المعلومات ان كانت ذات أهمية•

المخلص لورنس

[أُرسل التقرير التالي الى العقيد ولسن ، وقد طبـع في النشرة العربية بتفاصيل أكثر مما ورد في كتاب لورنس اعمدة الحكمة السبعة] •

١١ـ الى العقيد سي• ئي• ولسن

٨ كانون الثاني /يناير ١٩١٧

١ ـ مذكرة عن الطرق

غادرت ينبع يوم ١٩١٧/١/٢ وسـرت راكبا عبر السهل الى بداية وادي عگيدة في خمس ساعات • ومن بدايـة عگيدة الى مستجمع المياه في حوض

وادي ينبع أستغرقت ساعة واحدة ومن هناك ساعة أخرى الى نخل مبارك • تمت المسيرة كلها بسرعة أربعة أميال بالساعة • كان الثلث الاسفل للطريق الصاعد في وادي عگيدة رمليا ناعما يبطيء المسير • أما الاقسام العليا فكانت أصلب أرضا وأحسن سيرا • وكان الخط الفاصل منخفضا وسهلا ويؤدي شرقا الى وادٍ واسع مفتوح يمتد من جهة اليسار تحيطه تلال منخفضة من الجانبين (جبل عگيدة ؟) ، وتمر عبره الطريق تنحني برفق نحو نخل مبارك • أما « سبيل » فيقع على بعد ٤٠٠ ياردة من مستجمع المياه • كان الطريق الى نخل يبدو جميلا للغاية هذا اليوم• لقد نبتت جراء الامطار أعشاب في كل المنخفضات والاماكن المنبسطة • واندفعت سيقان العشب الخضراء تشق لنفسها طريقا بين الصخور فكان المنظر من عل وكأنه رهج شاحب الخضرة ينتشر هنا وهناك فوق سطوح الصخور رمادية الزرقة أو بنية الاحمرار • وكان العشب كثيفا في بعض الاماكن حيث كانت ترعى فيها إبل الجيش •

وجدت فيصل قد ضرب خيامه في نخل مبارك • وكان نفسه في خيمته الخاصة يتهيأ للخروج لأستقبال الناس • بقيت ذلك النهار معه ووصلت إشاعات تفيد بأن الاتراك قد أخلوا وادي صفرا • تقول احدى الاشاعات أن المنطقة بين بير شريوفي وبير درويش قد أصبحت معسكرا كبيرا واحدا وأن الوحدات تتجه من هناك الى المدينة • وتروي إشاعة آخرى أن قوة كبيرة من المشاة وراكبي الجمال شوهدت تسير شرقا عبر خيف يوم أمس • لذا قررنا ان نبعث عينا الى حمرا لمعرفة الاخبار •

وفي يوم ١/٣ أخذت معي خمسة وثلاثين رجلا من المحاميد وسرنا راكبين عبر سهل مليء بأعشاب الطرفاء والاشواك عابرين بير فقير الى بير واسط، وهو موقع ابي خلات الذي عبرته في رحلتي الاولى• وانتظرنا هناك حتى الغروب ثم ذهبنا الى بير مرّة حيث تركنا جمالنا مع عشرة من الرجال وتسلق البقية منا فوق التلال الواقعة شمال طريق الحج الى جبل ضفران • كان التسلق مرهقا

لأن التلال كانت من طبقات صخرية حادة كالسكاكين . لم يكـن في السطوح المتكسرة لهذه التلال ممسكا لأن طبقاتها رقيقة الشقوق بحيث تنخلع القطع من مكانها عند مسكها باليد كانت قمة جبل ضفران باردة وضبابية . وعند الفجر أختبأنا في شقوق بين الصخور وأستطعنا في النهاية مشاهدة ثلاث خيم الى الاسفل منا نحو اليمن خلف تتوء صخري على بعد ثلاثمائة ياردة عنا . لم تتمكن من الالتفاف حولها لنلقي عليها نظرة عـن قرب لذا أطلقنا عليها بضع رصاصات . وأدى ذلك الى ظهور جمع من الاتراك من كل جانب قفزوا الى خنادقهم ومواضعهم على جانبي الطريق فأصبح من الصعب اصابتهم . أظن أن قد وقعت بينهم بعض الخسائر إلا أنني غير متأكد من ذلك . كانوا يطلقون النار في جميع الاتجاهـات إلا في اتجاهنـا وأصبح الضجيج في ذلك الوادي الضيق شديدا حتى أنني توقعت أنه سيؤدي الى وصول قوة الحمراء . ولما كان الاتراك يتفوقون علينا عددا بمعدل عشرة الى واحد فان وصول هذه القوة سيجعل من الصعب علينا أن ننسحب خلسـة لذلك زحفنا راجعين ثم أنطلقنا مسرعين الى أسفل الوادي حتـى كدنا تدوس على أثنين من الجنود الاتراك الذين بدا عليهم الرعب الشديد ، ويظهر انهما كانا في موقع مراقبـة أمامي . وقد يكونا خرجا لقضـاء حاجتهما . كانا في اسـوأ حالة مهلهلة رأتها عيني وأستسلما لنا فورا . فأخذناهما معنـا وأسرعنا منطلقين لمسـافة ٥٠٠ ياردة اخرى في الوادي . ومن هناك أطلقنا بضع عيارات نحو معسكر الاتراك الذين أخذوا يبحثون عـن هذين الجنديين كما يبدو ، وبذا أستطعنا الوصول الى بير مرّة بسهولة عند السـاعة السادسـة والنصف صباحا . كان الاسيران لا يتكلمان سوى التركيـة لذا أركبناهما وأسرعنا بهما الى نخل للبحث عن ترجمان . وأفادا بأن القوة الموجودة في ضفران هي السرية الخامسة من الفوج الثاني للواء ٥٥ ، بينما كانت بقيـة الفوج وسريتين من الفوج الاول في قرية الحمراء ، وتقوم السريتان الأخريان من الفوج الاول بحراسة درب الخباء من

الحمراء الى بير حسني وبقي الفوج الثالث في بير درويش • وكان آمر اللواء ٥٥ هو توفيق بيك •

وعند نخل مبارك وجدت رسائل من الكابتن وارن تفيد بأن زيدا مايزال في ينبع وأن الباخرة دمزين ستبقى تنتظر في ينبع حتى وصولي • ولما كان فيصل على وشك الحركة الى عويس أبدلت جملي وركبت معه ومع الجيش الى بداية وادي مساريد عند الثالثة عصرا • كان ترتيب المسير بديعا وبربريا في نفس الوقت كان فيصل يسير في المقدمة مرتديا البياض وشرف على يمينه تعلوه كوفية حمراء وعليه جبة مصبوغة بلون الحناء تعلوها عباءة وعلى يسار فيصل أسير أنا مرتديا الابيض والاحمر وخلفنا ثلاث رايات من حرير أُرجواني تعلوها سنابك مذهبة وخلفها ثلاثة طبالين يعزفون لحناً للمسيرة ، وخلف هؤلاء جحفل من ١٢٠٠ جمل من قوات الحرس تسير مصطفة أكثر ما تستطيع أقترابا من بعضها البعض • وملابس الرجال من كل شكل ولون وكذلك كانت الأبل في سروجها وأعنتها ، وكان الجميع ينشدون بأعلى اصواتهم أغنية حرب تكريما لفيصل وعائلته • كان الحشد وكأنه نهر من الجمال لأننا ملأنا بطن الوادي حتى حافاته وأنطلقنا فيه كسيل طوله ربع ميل • وعند بداية وادي مساريد ودعت فيصل وأسرعت عبر السهل المفتوح نحو ينبع عند السادسة عصرا • كنت أمتطي ذلك الجمل الممتاز الخاص بفيصل وبذلك أستطعت أن أقطع مسافة الاثنين والعشرين ميلا بكل سهولة • ولما وصلت سرّني أن أجد الباخرة دمزين قد غادرت الى رابغ مع زيد وبذلك وفرت علي مسيرة عشرة أميال اخرى الى شرم ينبع •

٢ ــ القوات العربية

كانت معظم القوات في نخل مبارك من قطعات الجمال • كان هناك الكثير منهم ــ وحسب معلومات فيصل فإن عددهم يصل الى (٦٠٠٠) ــ إلا أن

معسكراتهم متناثرة عبر الوادي وروافده فلم أستطع أن أراهم جميعا • اما الذين رأيتهم فكانوا هادئين وبدت معنوياتهم جيدة • كان قسم منهم قد أمضى ستة أشهر أو أكثر تحت السلاح وقد فقد هؤلاء حماسهم إلا أنهم كسبوا خبرة مقابل ذلك • ومازالوا محافظين على روحهم القبلية في الاستقلال بأمرهم غير أنهم أخذوا يتخلصون من عادتهم في تبذير العتاد وصار لديهم نوع من التعود على أمور التعسكر والمسير ، وعندما كان الشريف يقترب منهم كانوا يصطفون وينحنون ويمدون أيديهم الى شفاههم وتلك كانت التحية الرسمية • كانوا لا يزيتون بنادقهم — فهم يقولون أن ذلك يجعل البنادق تمتلىء بالرمال ولم يكن لديهم الزيت الكافي — إلا أن معظم بنادقهم كانت بحالة جيدة ، كما أن بعض الرجال كانوا يجيدون الرمي • لقد أخذوا يصبحون قطعات منفصلة بيد انها متجانسة تحت قيادة شيوخهم وصار حضورهم أكثر انتظاما من السابق كلما أبتعدوا عن منازلهم • والأكثر من ذلك أنهم أخذوا يصبحون اكثر تقبلا لفكرة مغادرتهم لديارهم وأخذ فيصل يأمل ان يأخذ معه الجميع الى وجه لم يكونوا يشكلون خطرا وهم جمع لفقدانهم روح الجماعة والانضباط والشعور بالثقة المتبادلة • أما كأفراد فقد كانوا كأحسن ما يكون ، وأرى أن كلما كانت مجموعاتهم المقاتلة أصغر حجما كلما كانت كفاءتها أعلى • فالألف منهم كعصبة لا نفع فيهم تجاه ربع عددهم من القوات النظامية المدربة ، إلا أن ثلاثة أو أربعة منهم وهم يقاتلون في جبالهم ووديانهم كانوا أفضل من أثني عشر جندي تركي • كانوا يصابون بالقلق ويريدون العودة الى منازلهم اذا ما ظلوا ساكنين بدون عمل • حتى فيصل نفسه كان يريد أن يتمزق إرباً في مثل هذه المواقف • أما اذا كان لديهم ما يشغلهم ، فيمضون في جماعات صغيرة لمشاغلة الاتراك هنا وهناك ثم ينسحبون دائما عندما يبدأ الاتراك بالتقدم ، ثم يظهرون مرة أخرى من إتجاه آخر • فإن ذلك من خير ما يجيدون عمله • وهو ما يصيب عدوهم بالحيرة والارتباك •

كانت سرية القوة المتنقلة على البغال تبشــر بالخير كان يقودهم مولود (مخلص !) ، وهو ضابط خيالة قديم ، ويتولى تدريبهم وقد استطاعوا أن يثبتوا وجودهم •

اما فصائل الرشاشات فكانت مخيبة للآمال • ويقال ان المتطوعين المصريين أخذوا يرفعون مستوى هذه الوحدات وأفراد المدفعية •

٣ ـ الحديث مع فيصل على المائدة

عند الحديث يوما عن « اليمن » وهو اسم يطلق على كل المنطقة الواقعة الى الجنوب من مكة وجدة ، وصف فيصل القبائل التي تسكن تلك المنطقة بسهولة الانقياد وصواب العقل بالمقارنــة مع قبائــل حرب وجهينة وعتيبة الساكنين شمالا • قال أنه لا يعرف جماعة من العرب أسهل منهم قيادا ، فإذا أراد أحد الشيوخ أن يحبس ضابطا منهم فماعليه إلا أن يعقد خيطا رفيعا حول رقبة المتهم ثم ينطق بالحكم ، فيقوم المحكوم عليه باتباع الشيخ حيثما ذهب محتجا ببرائته مسترجيا العفو عنه • كما أن لديهم عادة حسنة هي أنهم يطلقون على أطفالهم أسماء ضيف عزيز فيصبحون بذلك تابعين أدبيا الى سميهم الذي يستطيع أن يأمرهم بعمل ما يشاء عدا الواجبات الابوية ؛ حتى أنهم يشاركون في تحمل مسؤولية الخصومات الدامية التي تخص من يحملون اسمه • كان فيصل قد أمضى عدة أشهر في الجنــوب بين الطائف وبيرك حتى أبها ويقول أن أعدادا كبيرة من الصبيان قــد أصبحوا يحملون اسمه فأصبح يملك نفوذا واسعا عليهم وحتى على آبائهم بصورة غير مباشرة • خاصة عندما قضى أربعة أشهر في مهيل لتحصينها للاتراك فأرتبط بصداقة مع سليمان بن علي وعائلته • ويقول أنه لو تيسرت لديه فترة عشرة أيام لعمل على إثارة كل مقاتل في العسير ضد محيي الدين • ان أبها كما يقول ليســت محصنة تجاه قوة تهجم عليها بأسناد بطرية من مدفعيــة الميدان • ان العقبة الحاليــة هي أن ناصر لا يملك

ثقلا كافيا لمواجهة الادريسي • وان جميع القبائل تعتقد أن الادريسي قد يحث اصدقاءه من الشيوخ لمهاجمتهم من المؤخرة اذا ما تحركوا بصورة مكشوفة ضد الاتراك • إلا أن وجود فيصل أو عبدالله قد يقضي على هذه المخاوف • يقول فيصل عن عبدالله أنه رغم سرعته في الحركة ان فعل ذلك إلا أنه يميل الى الترف والكسل لقد أخبر ستوتزنكن (وهو قائد البعثة العسكرية الالمانية التي كانت ترافق الاتراك في اليمن) فيصلا عندما كان في دمشق أن السلاح والعتاد ستشحن من اليمن الى الحبشة لأشعال حرب ضد الاجانب في تلك البلاد • وأنه شخصيا سيذهب الى شرق أفريقيا الخاضع لألمانيا •

لقد ظهر فرو نبيوس (وهو رحالة ألماني يسمي نفسه عبدالكريم باشا) ذات صباح في جدة قادما عن طريق البحر من وجه بعد ابتداء الحرب بقليل وكان فيصل في جدة فلم يدعه يذهب الى مكة • وكذلك منعته تحركات الاسطول البريطاني من الذهاب جنوبا • لذلك وضعه فيصل في زورق وأعطاه خطاب توصية وأرسله عائدا من حيث جاء • إلا أنه عندما وصل رابغ شك حسين مبيرك في أمره فأحتجزه في القلعة • واجه فروبنيوس صعوبة في التخلص من الحبس وأثار أعتراضات كبيرة حول طريقة معاملته عندما عاد الى سوريا• عندما كان فيصل في دمشق سنة ١٩١٦ أخذه جمال باشا الى السينما هناك • كان الفلم يبين الاهرامات يرفرف فوقها العلم البريطاني وعلى الارض يقوم جنود أستراليون بضرب الاهالي واغتصاب النساء وفي بداية الصورة فتاة مصرية وهي تتضرع متوسلة • وفي المنظر الثاني ظهرت صحراء وقافلة من الجمال وفوج من الجيش التركي وهو يسير بدون توقف • وتعود الاهرامات في المنظر الثالث وظهور الجيش العثماني بصورة مفاجئة بنظام الاستعراض ومقتل الاستراليين واستسلام الجنرال ماكسويل وسقوط هيبة الانكليز في مصر ، وتمزيق العلم البريطاني ورفع العلم التركي فوق الاهرامات • فقال فيصل الى جمال : اذا كان هذا الفلم حقيقة فلماذا تزعجونني ووالدي بطلب

المتطوعين ؟ فقال جمال : ان ذلك الفلم يشجع الناس وأننا لا تتوقع أن نقوم بغزو مصر الآن وان سياستنا هي أن نشاغل القوات البريطانية هناك بأقل جهد ممكن وان المانيا قد وعدتنا أن آخر العمليات العسكرية في الحرب ستكون غزو مصر من قبل ألمانيا واعادتها الى الامبراطوريـة العثمانية فوافقت على الاشتراك معها في الحرب بموجب هذه الاسس •

جاء أوبنهايم الى فيصل وهو في القسطنطينية أوائل ١٩١٥ وقال له أنه يريد اشعال نار الثورات • فسـأله فيصـل أية ثورات ولأي غرض ! فأجاب أوبنهايم أنها ستكون ثورات للمسلمين ضد المسيحيين • فقال فيصل ان الفكرة تبدو صائبة ، وسأله أين يقترح أن يبدأ هذه الثورات ؟ فأجاب أوبنهايم انها ستكون في « كل مكان » ، في الهنـد في مصـر في السودان ، في جاوا وفي الحبشة وفي شمال أفريقية • فقال فيصل ان من المناسب ان تبدأ في الهند إلا أن هناك مشكلة النقص في الاسلحة • فقال أوبنهايم ان ذلـك ستتولى أمره بعثة عسكرية ألمانية ـ تركية في ايران وتساءل فيما اذا كان الشريف مستعدا لأن يتعاون مع الجمعيات الاسلامية في الهند • فقال فيصل ان والده يريد أن يعـرف فيما اذا سيصبح المسـلمون من الهنـود مستقلين أم أن الهندوس سيحكمونهم أو أن الهند ستخضع لقوة أوربية آخرى ؟ فأجاب أوبنهايم أنه ليست لديه فكرة عن ذلك وأن ذلك سابق لأوانه • إلا أن فيصل أجاب بأن والده لابد أن يعرف مسبقا هذه الامور على كل حال • فقال أوبنهايم حسنا اذاً لماذا لا نبدأ بمصر ؟ يمكننا أن نجعل عائلتكم تتزعم مصر بعد أن يتم غزوها• فذكر فيصل نصوصا من القرآن تحط من شأن المصريين وقال انه قد زار مصر مؤخرا ، وأن الحزب الوطني قد عرض عليه العرش هناك (حدث ذلك في ميناء پيروس اليوناني) • وقال ان المصريين متقلبين ولا مبدأ سياسي لديهم سوى التذمر ولا يهتمون إلا بالاستمتاع وبالحصول على الفلوس • وان أي مصري يتحدث عن الثورة في مصـر انما يحاول أن يأخذ شيئا على الحساب • فقال

أوبنهايم ، حسنا وماذا عن السودان اذاً ؟ فقال فيصل أصبت في ذلك فهناك في السودان مادة لاشعال ثورة حقيقية إلا أنك هل تعرف شيئا عن السودان ؟. ولما سأله أوبنهايم ولماذا أجاب فيصل انهم زنوج جهلة يتسلحون بالرماح والاقواس والدروع وأنه لن يكون مسلما صحيحا ذلك الذي يحاول اثارتهم ضد الانكليز المسلحين بالبنادق والرشاشات. ان الرجال هناك عنصر جيد على كل حال فاذا اعطيتني السلاح والمال والسيطرة على البحر الاحمر لمدة ستة أسابيع فسأنجح في أن أكون الحاكم العام للسودان . فلم يفتح معه أوبنهايم أي حديث بعد ذلك .

في الشهر الاول سنة ١٩١٥ راح ياسين وعلي رضا وعبدالغني وآخرون الى شريف مكة مقترحين اشعال ثورة في سوريا فأرسل الشريف فيصلا الى هناك ليرفع له تقريرا . وجد فيصل هناك الفرق ٢٥ و ٣٥ و ٣٦ متهيئة للثورة إلا أن الرأي العام أقل استعدادا وان هناك شعور في الدوائر العسكرية بأن المانيا ستكسب الحرب بسرعة . فذهب الى القسطنطينية وانتظر حتى أحتدام الصراع في الدردنيل فعاد الى دمشق معتقدا أن الوقت مناسب للثورة ، إلا أنه وجد تلك الفرق قد تناثرت وأن أعوانه قد تفرقوا فأقترح على أبيه أن يتأخروا حتى تتم مفاتحة بريطانيا بصورة صحيحة ، وتكون تركيا قد أصيبت بخسائر جسيمة أو حتى اكمال انزال الحلفاء في الاسكندرية .

١٢ـ الى العقيد سي. ئي. ولسن

١٩١٧/٣/٩ وجه

عزيزي العقيد ولسن

أرجو المعذرة على الرسالة المستعجلة الآتية . وصل مكروري هنا صباحا ووصلت أخباره فجأة . وكنت أرجو ان أوصلها الى نيوكومب إلا أنني

لا أستطيع ذلك لأنه قادم الينا ولم يقل عن أي طريق • وقد تفضل فتزموريس وعرض عليّ بحارا تطوع لايصال الخبر له إلا أن ذلك غير ممكن •

وفي هـذه الظروف ولما كان ماك روري غير ذاهب الى ينبـع أو رابغ أقنعت فيصـل بان يعمل شيئا • ورغـم أوامر كلايتن أخبرت فيصل ببعض المعلومات عن الموقف ، فلم يكن بمقدوري أن أفعل شيئا بمفردي بالمستوى اللازم • وعلى الواحد أن يخبر آمره الاعلى • ولقد كتب الى الشريف علي لان يبعث قبيلة جهينة الشرقية وقبيلة حرب مباشرة الى بوات ــ محيط بأسرع ما يمكن • ستذهب الرسائل هذا العصر الى ينبع على الباخرة (رفرفشر) • لم يقل فيصل في رسالته ما يكشف معلوماتنا غير انها ستدفع عليا الى القيام بعمل عاجل حسبما أظن •

بعث برسول الى عبدالله ليقول له أن يهجم ليحطم ويمزق أي شيء حيا أوجمادا ما بين بوات ــ محيط وحديـة حتـى لو تعرض ثلاث أرباع قواته للدمار • غادر سعد الغنيم الى فگير في غرب حمد للهجـوم على ذلك الخط بصورة مؤقتة حتى نصل اليه • وسأذهب غدا ومعي مدفع ٢٫٩٥ عقدة وسرية رشاشـات ، وربمـا جلمان وجنوده لنحاول مسـك أحد مستودعات المياه ونحطمه •

ان المشاة المنقولين على البغال قد أرسلوا ، ربما الى عبدالله للاندفاع نحو جحفل الهجانـة التركي الجديد • ان قوتهم ١٦٠ مقاتل مـع رشاشتين ويدون جيدين • سيتوجهون أولا الى فگير واذا ما وصلوا بوقـت مناسب فسيلتحقون بعبدالله وبخلاف ذلك سيتحركون لقتال الاتراك اينما وجدوهم •

لقد ذهب الشريف علي بن حسين الى جيده مع ستة عشر خبيرا بالمتفجرات لقطـع الخط ما بين العلا وطويرة • وذهب عبدالله بن مهنا الى مدين صالح للأستيلاء على ١٤٠٠ جمل أرسلت هناك من قبل بن رشيد • وسيرسل فيصل قبيلة رفاع وقطعات آخرى الى نقطة قرب العلا بصحبة مدفـع ٢٫٩٥ عقدة وبضعة رشاشات لمحاولة شن عمليات ضد الاتراك هنا ونسف الخط بأي حال

من الاحوال . سيرسل الشريف ناصر مع نيوكومب مرة آخرى الى الشمال حالما نلتقي بهم . وسيبعث رهط من قطعات التفجير الى هناك لمشاغلة الاتراك حتى عودتهم . ستتحرك هذه الليلة شحنة من المتفجرات مع بعض الخبراء الى ضبة وسيندفع محمد علي البيداوي كذلك نحو خط السكك الحديد قرب تبوك .

ان الخطة هـي ان تبدأ العمليات فورا ضـد منشآت المياه لتوفير الوقت للتحشد . ولهذا الغرض ستندفع هذه القطع الخفيفة متقدمـة الى الامـام مخاطرة بأي شيء لأجل كسب الوقـت . وعندما تصـل الجمال ويبدأ علي بالحركة فسوف تتخذ القوات الرئيسة للاخوة الثلاث مواقعها على طول الخط من المدينـة الى العلا وسيجد الاتراك صعوبة كبيرة في التحرك . سيستغرق ذلك عشرة أيام على ما أظن على فرض أن الجمال ستصـل في اليوم الخامس عشر من الشهر .

اعتقد ان نقطة الضعف في الخطة التركية هي قطارات الماء والتموين . فإذا أستطعنا أن نقطع خط السكة بالمستوى الذي لا يتمكن من اصلاحه أو ان نحطم قاطراتهم فان قواتهم ستعجز عن الحركة . فلابد أن لن يكون لديهم ما يكفي من مواد التصليح في المدينـة ولن يستطيعوا نقل ما يحتاجونه من حمولات الى جانب الماء والطعام. فلو أستطعنا ان نثبتهم في مواقعهم لمدة عشرة أيام فقط . وأخشى ان الموقف سيكون دقيقا للغاية .

سآخذ معـي بعضا من ألغام كارلند ، ولو أستطعت العثور على بعض الفتائل الآنية وتوفر لي الوقت الكافي فسأزرع هذه الالغام أقرب ما يمكن من المدينة . وهذا هو أحد أسباب ذهابي هناك بنفسي ، إضافة الى محاولة تدمير هديه أن أمكن ذلك . سيعمل فيصل كل ما بوسعه . إلا أن الوقت قد ادركنا .

المخلص

لورنس

١٣- الى الجنرال كلايتن

رئيس دائرة الاستخبارات والمكتب العربي في القاهرة

(سري)

١٠/٧/١٩١٧ القاهرة

الجنرال كلايتن

غادرت وجه في أيار/مايو ١٩١٧ مع الشريف ناصر بن علي بن راضي بن حسين من أهل المدينة آمرا للقوة العسكرية ونسيب بيك البكري ضابط سياسيا لتدبير شؤون القرويين وسكان المدن (أثبت ناصر نفسه كفوءاً للغاية وجم النشاط ومستقيما خلال الحملة ، وقد نال أعجابي وأعتقد أنه ، بعد فيصل وشاكر ، أفضل الاشراف الذين عملت معهم) .

كانت تعليمات فيصل تنص على فتح العقبة لتستعمل قاعدة لتموين القوات العربية ولمعرفة امكانية العمل للقوات الشريفية في شرق وجنوب سوريا . تحركنا الى أبي راقة حيث أرتفع عددنا الى ٣٦ رجلا ، ومن هناك الى خط السكة عند الكيلومتر ٨١٠ ½ الذي نسفناه يوم ١٩/٥ . وأمتد بنا الطريق بعد ذلك الى « ميقوة » في وادي سويلان ثم الى جرف لمواجهة نوري ونواف ثم سمعنا أنهما الى الشمال منا لذلك تحركنا الى نبك (قرب كاف) في الثاني من حزيران / يونيو حيث قابلنا عودة أبو طي والحويطات . بقي الشريف ناصر في كاف لمحاولة ضم قبائل الرواله والشريرات والحويطات الى الحملة المتوجهة الى العقبة .

سرت في الرابع من حزيران /يونيو بصحبة رجلين الى منطقة وادي علي عن طريق برقة وسبع ابيار ثم الى عين الباردة قرب تدمر في ٨ منه . وهناك واجهت الشيخ ضامي من قبيلة كواكبة عنزة وعلمت منه ان هاشم قد ذهب الى

الشمال الغربي وبقي بن مرشد في دمشق • (كان هدفي أن اواجه قبيلة بشير وأُسوي خلافاتهم مع الحويطات لأجل العمل بين حمص وحلب • إلا أن الخطة فشلت • غير ان ضامي يستطيع ان يعمـل وسيطا أو ان يهيء رجالا لتدمير جسور أورونتس عند الحاجة • انه رجل جيد وهو الآن في العقبة) • لذلك ذهبت غربا مع ضامي ورجاله الخمسة والثلاثين (الذين استطعت أن أضمهم الى قواتنا) الى رأس بعلبك في العاشر من حزيران/يونيو ونسفنا جسرا صغيرا هناك (كان تأثـير ذلك ضئيلا بطبيعة الحال على حركـة الطريق إلا أن قبيلة المتاولة في بعلبك قد استثارهم العمل وكان ذلك ما أريده • وجدنا ان صوت انفجارات البارود تفعـل خير مفعول دعائي أينما حدثت) ومن راس بعلبك توجهنا جنوبا الى الغبان في الغوطة على بعد ثلاثة أميال من دمشق حيث قابلت علي رضا باشا الركابي في ١٣ حزيران/يونيو القائد الاعلى في دمشق • (وهو ضابط هندسة معروف برتبة جنرال في الجيش التركي ، ويترأس فرع سوريا من الجمعية العربية السرية • أخبرني علي رضا أنه ليس لديه سوى خمسمائة من الجنود الاتراك وثلاثـة أفواج شغيلة غير مسلحة في دمشق ، وان موقفه لا يساعده إظهار مشاعره الحقيقية بمفرده) •

ومن هناك تحركت الى الردينه حيث قابلت الشيخ سعدالدين بن علي من منطقة لجه (بحثت مع الشيخ سعدالدين خطة مؤقتة للعمل من لجه عندما تدعو الحاجة لذلك) ، ثم أتنقلت الى صلخد لمواجهة حسين بيك الاطرش (وقال لي حسين بيك الشروط التي يريدها الدروز لكي يقوموا بالثورة • وتبدو لي تلك الشروط أساسا جيدا للتفاوض) •

ومن صلخد ذهبنا الى الازرق وألتقينا بنوري ونواف ثم عدنا الى نبك في الثامن عشـر من حزيران/يونيو (ان عمليـات نوري ونواف تعتمد على عمليات الدروز • وأنا على يقين ان نوري لن يقوم بعمل لوحده إلا انه يدرك حقيقة كونه قد أصبح جزءاً مـن الكفاح وهو منحاز كليا الى قضية العرب

وموواليا للشريف • أنه الآن مهتم بأستلام حصته السنوية من القمح في النقرة ويبدي الولاء الى الجانبين حتى تظهر حاجتنا اليه •) وفي نبك وجدت أن عملية ضم المتطوعين قد انتهت • وذهب نسيب بيك البكري الى صلخد مع حسين الاطرش مع التعليمات المرفقة طيا (ان نسيب البكري متقلب الاهواء وقصير النظر كمعظم السوريين من سكان المدن ولن يقوم بتنفيذ التعليمات حرفيا غير أن لم يكن هناك وكيل آخر) • ثم تحركت مع ناصر الى باير في ١٩ حزيران/يونيو حيث أعدنا فتح مخابيء المتفجرات • ومن باير ركبت الى زيزا ورأيت فواز الفائز (وكان شخصا لطيف الكلام إلا أنني واثق من كونه مواليا للاتراك قلبيا • غير أن بني سكلهاد سيتبعون بالتأكيد كلا من طراد وبن زبو اللذين كانا من اعواننا) ، ومن هنـاك أتجهت الى الغـرب من عمان الى أم قيس في ٢٣ حزيران/يونيو حيث ألقيت نظرة على الجسر (ز) على وادي اليرموك وألتقيت بشيوخ الشريرات وبني حسن • ومن ام قيس ذهبت الى أفدين (وهي المفرق على الخارطة) وهي اول محطة بالاسفل من درعا ونسفت امتدادا من السكة المنحنية عند الكيلومتر ١٧٣ • (أستغرق تبديل السكة المنحنية ثلاثة أيام ثم استمرت قاطرة التصليح الى الجنوب وعند الكيلومتر ١٧٤ أنفجر تحتها لغم كبير فسقطت من فوق قنطرة علوها خمسة عشر قدما في الوادي • وأدى ذلك الى تأخير آخر لمدة يومين ريثما تم تفقد الخط •

ومن أفدين ركبنا الى الزرقـاء ومن هناك الى عطـوى حيث فشلنا في الاستيلاء على المحطة إلا أننا قتلنا ثلاثةأفراد من الخمسةالذين كانوا فيالحامية وأستولينا على قطيع كبير من الغنم وقضينا على أربعـة من جماعة التلغراف الذين كانوا يصلحون الاسلاك • كما أننا نسفنا قسما من خط السكة •

ومن عطوي ركبنا عائدين الى باير والتحقنا بالشريف ناصر الذي كان في ذلك الوقت قد هيأ قبيلة الحويطات الغربية • وفي آخر حزيران / يونيو تحركنا الى جفر وفتحنا أحد الآبار ومن هناك الى الكيلومتر ٤٧٩ الذي دمرنا

فيه قسما كبيرا من الخط بينما كان هناك رتل من القوات يقوم بالهجوم الى الشمال من معان قرب عنزة • ثم سرنا بأتجاه فويلح حيث كان رتل متقدم قد دمر موقعا للجندرمةالتركية• إلا أننا فوجئنا بخبر قيام الاتراك بأستعادةفويلح من قبل حملة الانقاذ المتأخرة المكونة من الفوج الرابع من اللواء ١٧٤ الفرقة ٥٩ من معان • تمكنا من القضاء على الفوج في أبي لسان في الثاني من تموز/ يوليو (وقع في ايدينا آمر الفوج ومدفع جبلي و١٦٠ أسير) وبعثنا برتل سريع الى الشمال والذي تغلب على الموقـع التركي في جيشه (وهو راس السكة الواقع على بعد خمسة أميال الى الشـرق من شوبك) وأحتل وادي موسى وشوبك وتفيله وهو الآن بالقرب من الكرك يتهيأ للقيام بعمل هناك •

وبعد فويلح أستولينا على موقع مريغة ثم تحركنا الى قويرة حيث ألتقينا بن جاد من حويطات العقبة ، وأخذنا مائة رجل وخمسة ضباط • وسرنا من القويرة الى الكثيرة (حيث على موقع فيه ثلاثة ضباط و١٤٠ جندي) ومن هناك اتجهنا الى الخضرة شمال وادي عثم ، حيث استسلمت حامية العقبة دون قيد أو شرط• دخلنا العقبة في ٦ تموز/يوليو مع ستمائة أسير حرب من الجنود وحوالي ٢٠ ضابطا مع ضابط صف ألماني واحد يحفر الآبار • وفي نفس اليوم ركبت الى السويس بصحبة ثمانية رجال ووصلت الى الشط في التاسع منه •

وكنتيجة للرحلات والمقابلات الموصوفة اعلاه ما بين ٥/٦ و ٦/٧ أرى ان بالامكان تنظيم القوات العربية عند نهاية آب/اغسطس حسبما يظهر من المخطط المرفق وذلك اذا ما تيسرت لهذه القوات المساعدات المادية اللازمة • ان هؤلاء المجندين (كما هو الحال مع بدو الحجاز) غير قادرين على خوض معارك نظامية مدبرة إلا أن القوات رقـم ١ و ٢ و ٤ و ٥ قد تتمكن من قطع طريق السكة في مناطقهم وان القوات رقم ٦ و ٧ تكفي لطرد الاتراك من المواقع الكائنة في مناطقهم وأحتلال جميع خطوط المواصلات • اما القوة رقم ٣ فهي قوتنا الضاربة (والتي يقارب تعدادها ستة آلاف رجل لابأس بهم) والذين

قد يتمكنون من الاستيلاء على درعا أو على الاقل عزل الحامية هناك وتثبيت خط المعركة في المنطقة المجاورة • أنني أقترح ان نقطع الجسر في الجمة من أم قيس بواسطة القوة رقم ٢ ان أمكن (وبهذا يقطع طريق السكة التركي الوحيد الى فلسطين) كعمل تمهيدي وأذا ما أمكن الاستيلاء على دمشق بقسم من القوة رقم ٣ فسيعتبر ذلك كسبا يزيد قضية العرب قوة •

ولحسن الحظ فليس مـن الضروري ان تكون هـذه العمليات منسقة بصورة متقنـة • فاذا ما نفذت حسـب تسلسلها العددي (كما هو الحال في الخارطة) فسيكون الامر أسهل ما يمكن • إلا أنه ليس هناك أمـل كبير في تنفيذ الاعمال كما يخطط لها • فاذا نفذت هذه العمليات فان خطوط مواصلات الاتراك في منطقة القدس ستصبح مهددة • غير أنني لا أرى من المناسب أن يبدأ العرب عملياتهم الا اذا قامت قوات الحملة المصرية بالهجوم على القطعات التركية المواجهة لها لغرض تثبيتها في مواقعها لمنعهم من إرسال تعزيزات كبيرة الى منطقة حوران • تستطيع القوة رقم ٣ أن تقوم بمجهود واحد فقط (ربما لمدة شهرين) واذا ما قضي على هذه القوة فإن آمال العرب في سوريا ستكون رهينة في أمكانية نجاح العمليات بين حمص وحلب ، والتي لم تختبر بعد ، ومن السابق لأوانه الحديث عنها الآن • طلب مني الشريف ناصر أن أبحث مع قيادة الحملة المصرية الموقف العسكري وأحتياجاته وأمكانية القيام بعمل مشترك بين قواته وقوات الحملة المصرية ضد القوات التركية في فلسطين ، كما مبين اعـلاه •

لورنس

مقتبسات من التعليمات التي اصدرت الى نسيب بيـك البكري في كاف في ١٩١٧/٦/١٨

١ ــ رتب خدمات الاستخبارات مع وكلاء مقيمين في دمشـق ودرعا وعمان لجمع المعلومات العسكرية •

٢ ـ قم بمصالحة زعماء الدروز مع بعضهم •

٣ ـ أتصل بالدروز في حاصبيا ولبنان ، وكذلك مع المتاولة في جبل عمر وبلاد بشاره (مستعملا أسم سيد ناصر) وطمئن الموارنة في المنطقة حول نوايا وطبيعة الادارة الشريفية في المستقبل •

٤ ـ أتصل بجماعة الغوارنة في بحيرة الحولة ومرج عيوم •

٥ ـ أرسل زكي أفندي الى لجة لتفقد الطرق وتموين المياه •

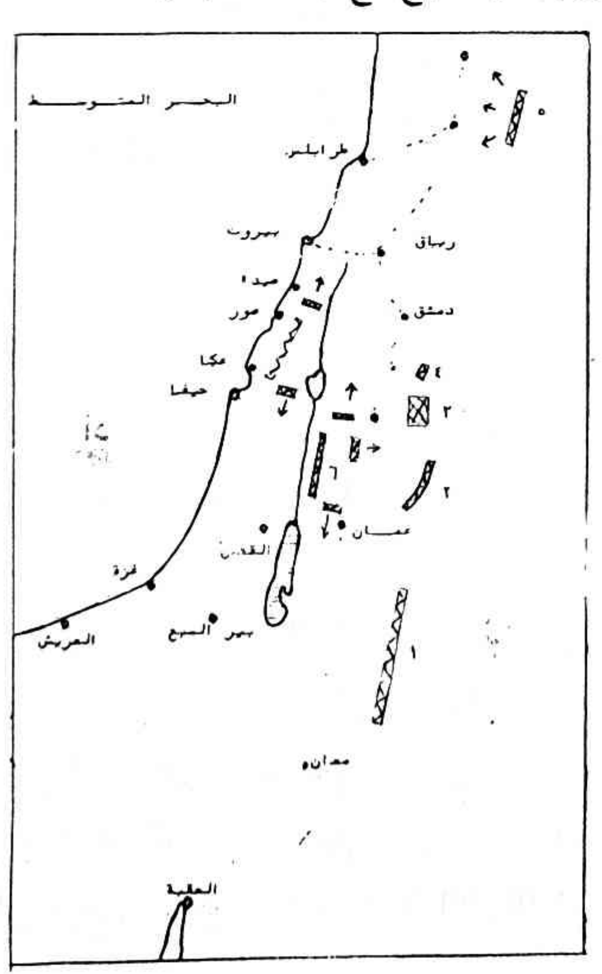
٦ ـ ابعث لي بتقديرات عن حاجة الدروز من المواد الحربية •

٧ ـ أبحث مع نوري قضية تصفية المستوطنات الشركسية في النقرة والقنيطرة •

٨ ـ أتجه نحو بعض زعماء المتاولة في بعلبك لمعرفة ماذا بأمكانهم عمله •

٩ ـ هيء القرويين في جبل الشيخ وجبل شرقي وجبل كلمون •

١٠ ـ توصل الى إتفاق سريع مع جماعة البشير •



١٤ـ احتـلال العقبـة

(النشـرة العربيـة ، العـدد ٥٩)

أستطعنا في ٦/١٨ ان نضم الى صفوفنا ٥٣٥ رجلا من طويحة (كانخمسة عشرون منهم من الفرسان) وحوالي ١٥٠ من الروالة (يقودهم نيابة عن دغمي، شفيق درزي) ومن الشرارات (بقيادة جريطان العزمي) وخمسة وثلاثين من الكواكبة بقيادة ضامي • انتخبنا من بين هؤلاء حوالي المائتين تركناهم لحراسة مخيمات القبائل في وادي سرحان • سرنا مع البقية الى كاف عند العصر وفي ٦/٢٠ دخلنا باير بعد مسيرة سهلة إلا أنها قليلة الماء • وهناك في باير وجدنا أن احد الآبار قد طمرت وأثنين آخريين قد أصيبتا بأضرار كبيرة وتركت الرابعة سليمة ؛ فلقد جـاء الاتراك هنـا قبل قليل مع حمـد العرار وحاولوا نسفها بالمتفجرات كانوا قد أساءوا استعمال قادح كهربائي في العمليـة وتمكنا من أزالة بضعة حشوات من المتفجرات من جوانب البئر التي بقيت سليمة •

أجبرتنا الظروف على البقـاء في باير حتى ٦/٢٨ • وقضينا الوقت في مفاوضات مع أبن جازي والفروع الصغيرة من قبائل الحويطات على طريق العقبة كما قمنا كذلك بنسف بعض اجزاء السكة في عطوي وسلطاني ومنيفير وأماكن آخرى • كان افراد التفجيرات مـن عقيل غير كفوئين ومالدنيا من المتفجرات قليل المقدار لذلك لم تكن التفجيرات اكثر من وخز الابر لم يقصد منها الا مشاغلة الاتراك وأشعار العـرب بأننا قد وصلنا • وقد قتل موظفو محطتين لنفس الغاية • سرنا من باير الى الجفر حيث بقينا الى ٧/١ • وهناك كانت عمليات الاتراك ضـد آبار الماء أكثر نجاحا فواجهتنا صعوبات في حفر أحدها ، وكان ما فيها من الماء ، ان حصلنا عليه ، يكفي لإرواء حوالي ثلاثمائة رجل وبعير • كانت بنايات المحطات في كل من معان والحمراء بادية للعيان من الجفر ، على بعد حوالي أربع وعشرين ميلا • إلا أن الاتراك لم يدركوا اننا قد

جئنا بقـوة كبيرة وذلك بسبب العمليات قرب عمان التي نفذتها قوة سريعة الحركة من مائة رجل بقيادة شيخ زاعل • وجعلهم ذلك يعتقدون بأننا مازلنا في وادي سرحان ، وفي الثلاثين مـن حزيران/يونيو أرسلوا قوة من ٤٠٠ خيال واربعة رشاشات مع نواف بن شعلان دليلا لهم للحركـة من درعا الى كاف للعثور علينا • وعلى ما يبدو ان الاتراك لم يستطيعوا ان يميزوا بين الاخبار الصحيحة والكاذبة من بين ذلك السيل من المعلومات التي كان العرب المحليون يأتونهم بها بدون تدقيق • ومن الجفر انطلق رتل خفيف راكبا الى فويلح على بعد سبعة عشر ميلا الى الجنوب الغربي من معان • وبالتنسيق مع حويطات الضمانية (الشيخ قاسم هاجم الموقع التركي على طريق السيارات الى العقبة • وخلال المعركة هجم بعض الاتراك على مجموعة من خيـام عزلاء للحويطات فقتلوا عجوزا وست نسـاء وسبعة أطفال هم ساكنوها الوحيدين • ونتيجة لذلك أباد جنودنا العرب كافة افراد الموقع التركي إلا من استطاع منهم الهرب الى معان •

وصلت هذه الانباء الى معان عند الفجر يوم ٧/١ فصدر أمر الى فوج من اللواء ١٧٨ ، الذي كان قد وصل الى معان من زنقلدك قبل يوم ، بالحركة فورا الى فويلح لانقاذ الموقع التركي • وفي عصـر نفس اليوم نزلنا الى خط السكة عند الكيلومتر ٤٧٩ قرب غدير الحج وقمنا بتفجيرات واسعة للخط حتى الغروب وبعد ذلك توجهنا غربا بنية المبيت في البتراء • إلا أننا ألتقينا أثناء الطريق برسل من قوتنا في فويلح أخبرونا عن وصول قوة تركية جديدة من معان لذلك غيرنا وجهتنا نحو الشمال وسرنا معظم الليل حتى تمكنا عند الفجر من احتلال بعض قمم التلول المنخفضة المغطاة بالعشـب التي تحيط بجانبي طريق العقبة قرب عين أبي اللسـان • كان الاتراك قد وصلوا الى فويلح فلم يجدوا سوى النسور تلتهم الجثث فتحركوا الى أبي اللسان على أربعة عشر ميلا من معان ليقضوا ليلتهم • كانت عين الماء هناك قد بني حولها بناء ونصبت

أنابيب ويكفي ماؤها لإرواء ألفي شخص تقريبا ولو أن حجمها قد صغر عما كان عليه قبل الحرب • كان الفوج التركي قد عسكر قرب العين متجمعا في بطن الوادي لذلك أستطعنا ان نحتل الارض المرتفعة (على مسافة ٤٠٠ الى ٦٠٠ ياردة) بدون صعوبة •

بقينا في مواقعنا وأخذنا نتراشق مع الاتراك طيلة يوم ٢/٧ واوقعنا فيهم بعض الخسائر • ورد الاتراك علينا بأطلاق قذائف من مدفعهم الجبلي • أطلقوا علينا عشرين قذيفة كانت كل مامعهم • كانت قذائفهم تمر قريبة من قمة التل ثم تنفجر بعيدا في الوديان الخلفية• وعند حلول المغيب جمع عودة أبو طي الفرسان الخمسين الذين معنا في واد يبعد ٢٠٠ ياردة عن الاتراك وبأسناد منا قاموا بغتة بهجوم عنيف فاجئوا به الاتراك وهم يطلقون النار من على ظهور الخيل • ويظهر ان هذه الحركة غير المتوقعة قد أوقعت الارتباك في صفوف الاتراك (وقوتهم ٥٥٠ رجل) وبعد تبادل الرمي تفرقوا في كل جانب • كان ذلك أشارة لنا بالهجوم فأندفعنا بقوتنا (حوالي ٣٥٠ رجل) هاجمين نحو الوادي بأسرع ما تستطيعه جمالنا • كانت جميع القوة التركية من المشاة وجميع القوة العربية راكبة فصار أختلاط الف من المقاتلين يطلقون النار بجنون شيئا رهيبا • وبعد ان تفرق شمل الاتراك أصبح وضعهم ميئوسا منه تماما ، وماحدث خلال خمس من الدقائق لم يكن سوى مذبحة • أستطعت بعد كل شيء ان أحصي من الاعداء ثلاثمائة قتيل في الموقع الرئيس وقد يضاف لهذا العدد بعض الذين هربوا وقتلوا على بعد من ذلك ، مع ان معظم رجالنا قد ذهبوا الى المعسكر التركي لينهبوه قبل ان تخمد نار المعركة • وصل عدد الاسرى الى ١٦٠ (بينهم ثلاثة ضباط) ، أسر معظمهم من قبلي وقبل الشريف ناصر لأن العرب في منطقة معان كانوا متحاملين على الاتراك وعازمين على قتل من يقع في ايديهم • ولهم بعض العذر في ذلك بسبب المذبحة التي وقعت بين النساء والاطفال المذكورة اعلاه • وبسبب اعدام الشيخ عبدالرحمن في وقت

سابق وهو أحد البلغاوية من كرك . كان شخصا محبوبا ومعاديا للاتراك إلا أن الحكومة قبضت عليه وشدت جسده بين أربعة بغال قطعّته حتى مات . كان ذلك ختام عدد من الاعدامات في كرك تركت ذكراها شعورا بالعداء لدى الرأي العام في المنطقة . كانت خسائر العرب في المعركة مقتل رجلين (احدهما من الروالة والآخر من الشرارات) وجرح بضع رجال من بينهم الشيخ بنايا بن دغمي . وبالنظر الى الارتباك الذي حدث ومقدار ما أطلق من الرصاص وضيق المكان وحجم خسائر الاتراك فإن العرب قد خرجوا من المعركة موفوري الحظ . فلقد أصيب عدد من الخيول في الهجوم ونجا عودة نفسه (والذي كان في المقدمة طبعا) من الموت بأعجوبة فلقد أصابت طلقتان ناظوره ونفذت آخرى من غلاف مسدسه وأصابت ثلاث طلقات سيفه المغمد كما ان حصانه قد قتل تحته . وكان عودة مسرورا للغاية بالعملية كلها .

ولسوء الحظ فقد كان الكثير من الاسرى الذي وقعوا في أيدينا مصابين بجروح ولم يكن لدينا الكثير من الجمال الفائضة عن الحاجة . فمن كان منهم قادرا على التماسك اركبناه خلف أحد رجالنا فوق الجمال الاحتياطية إلا اننا أضطررنا الى ترك من كان منهم بليغ الاصابة في أبي اللسان . وقد مات خمسون أسيرا من بين الذين أخذناهم معنا وذلك بسبب الحر والجوع والعطش في الطريق الى العقبة . كان الحر شديدا للغاية بين الحسمة ووادي عتم وكمية الماء بين العقبة وفويلح لا تكاد تكفي لمائتي رجل وحيواناتهم . أما بشأن الطعام فلقد أخذنا معنا أنا وناصر تموين شهرين من وجه وها نحن قد قضينا شهرين في حركتنا . وكان مع البدو طعامهم الخاص بهم في حقائب سروجهم إلا أن غذاء الاعراب لا يلائم الجنود الاتراك ، كما ونوعا . وقد عملنا ما نستطيعه تجاه الاسرى إلا أن كل واحد منا كان بحالة عوز .

ومن أبي لسان سرنا الى قويرة (٢٢ ميل) بعد أن بعثنا رتلا استطاع تدمير مريقة وهي أقرب موقع تركي الى معان ، في الطريق الى العقبة .

واستسلمت لنا حامية قويرة (تعدادها حوالي ١٥٠ رجل) ، يتوسط لهم حسين ابن جاد الذي أنضم الينا هنا في ٧/٤ (كان الشيخ بن جاد يتبّع في القويرة سياسة التوازن لينضم الى الطرف الاقوى ، ولما أصبحنا اليوم ذلك الطرف الاقوى جـاء ذلك الثعلب العجوز الى صفوفنا) • كان طريق السيارات قد عُبّد من معان حتـى سفح نقب الستار إلا أنه لم يبلط في أي جزء منه • ولما كانت التربة صلبة بعض الشيء فأظن أنها تصلح لحركة السيارات الخفيفة • اما النقب فكان فيه أنحدارات شديدة وأنحناءات صعبة في الطريق ويحتاج الى اصلاحات • وكانت أرض الحسمة ذات رمل أحمر ناعم ، يرتخي على امتداد الأثر إلا أنه أكثر صلابة في قعر مجرى الماء الذي يسيل من سفوح النقب الى القويرة • ومن القويرة مشينا على امتداد وادي عتم الى كثيرة (١٨ ميل)حيث أكتسحنا موقعا تركيا من سبعين جندي من المشاة وخمسين من الراكبين حيث أسرنا معظمهم (وقد منحنا شـرف تلك العملية الى بن جاد ورجاله الذين لم يكونوا قد انهكوا بعد ، ونصحناه ان يقـوم بالهجوم عند الظلام • وحاول التملص معتذرا ببعض الصعوبات ومحتجا بأن القمر بدر • إلا أننا قطعنا عليه أحتجاجاته واعدين أياه أن بعض الوقت من هـذه الليلة سيكون مظلما فقد كانت مفكرتي تشير الى حدوث الخسوف • حدث الخسوف في موعده ونجح العرب في أحتلال الموقع دون خسائر من جانبهم ، بينما راح الجنود المعتقدون بالخرافـات يطلقون الرصاص ويقرعون صحون النحاس لأنقاذ القمر الذي يهدده الحوت بالابتلاع) • ومن هناك ذهبنا الى القرب من خضرة على السد الصخري القديم في وادي عتم (١٥ ميل) حيث حصل التماس مع حامية العقبة (٣٠٠ رجل) • كان رجال الحامية قد أنسحبوا الى موقعهم هذا من قرية العقبة نفسها (على بعد حوالي ستة أميال) لكي يكونوا بعيدين عـن ساحل البحر وعلى امتداد خط الانسحاب نحو معان • كانت أخبار معركتنا في فويلح قد وصلت بسـرعة الى العقبة فأدى ذلـك الى ثورة قبائل عمران والدراوشـة

والهيوات وفروع قبائل الحويطات قرب العقبة وتجمعوا حول موقع الخضرة وأحاطوا به إلا أن المدافعين عن الموقع صدوهم من خنادقهم موقعين بهم خسائر طفيفة لمدة يومين • وعندما لاح ناصر وقواته إزداد حماس وهياج العرب وصاروا يتهيأون للقيام بهجوم فوري • إلا أن ذلك لم يناسب خططنا لأننا أردنا ان ينتشر الخبر بأن العرب يقبلون الاسرى (لتشجيع الطرف الآخر على ذلك) • لقد كان جميع الاتراك الذي صادفناهم مستعدين بكل سرور للاستسلام فكانوا يرفعون أسلحتهم ويصيحون « مسلم ، مسلم » حالما كانوا يرونا• وكانوا يعبرون عن استعدادهم ورغبتهم في محاربة الاجانب والمسيحيين حتى الموت • لا أن يجعلوا مسلما واحدا آخر يحارب في صفوف أعدائهم • ولأجل أنقاذ حامية موقع الخضرا من مذبحة مؤكدة جاهد الشريف ناصر منذ العصر حتى الفجر ونجح أخيرا بتحقيق هدفه (بأن ذهبنا بأنفسنا نعترض خطوط النار بين الطرفين) وأصبح لدينا بعد ذلك ستمائة من الاسرى مشينا بهم نحو العقبة صباح السادس من تموز / يوليو • كانت دهشة الخبير الالماني (الذي كان يحفر الآبار في الخضرا) كبيرة ومضحكة • لم يكن يعرف العربية ولا التركية ولم يسمع بالثورة العربية • كان موقفنا في العقبة خطيرا من الناحية الاقتصادية • لم يكن لدينا طعام وبين أيدينا ستمائة أسير ويلوح في الافق المزيد منهم • كان اللحم وفيرا حيث كنا نذبح بعض الجمال عند الحاجة • وكان في البساتين تمر لم ينضج بعد • وخفف هذان العنصران كثيرا من الصعوبات إلا أنهما كانا يسببان الكثير من المتاعب بعد اكلهما ، ولم تشعر القوات في العقبة بالارتياح إلا بعد وصول سفينة صاحب الجلالة « ضفرين » يوم ٧/١٣ وهي تحمل لنا الطعام من السويس • وقبيل وصول الباخرة أرسلنا قوات عربية شمالا لأحتلال التلال فوق وادي موسى (البتراء) على بعد حوالي ستين ميلا من العقبة ، وأخرى جنوبا للانضمام الى بني عطية وليستطلعوا المنطقة لغرض شن هجوم على خط السكة جنوب معان •

١٥ـ الى الكولونيل سي· ئي· ولسن

١٩١٧/٩/٢ [العقبة]

عزيزي الكولونيل ولسن

كان علي أن أجيب على مذكرتكم الرقيقة قبل هذا الوقت إلا أنني شغلت بقضايا التموين والامور الاخرى عندما أبحرت السفن المتجهة جنوبا . كانت عمليات الحجاز طريفة تماما لم يحدث لها مثيل على الارض وليس بأمكان أحد لم يألفها أن يعرف صعوبة ادارتها . وعلى كل حال فقد سارت هذه العمليات كما يجب وسيسجلها التاريخ نصرا ، غير أنني آمل ان الصعوبات التي كان عليّ تذليلها ستكون بنفس الدرجة من الوضوح . ان ذكرياتي عنها لجميلة (والفضل في ذلك لكم بطبيعة الحال) واذا ما وفقت في أصدار كتابي عنها فسأحاول أن أجعل الناس الآخرين يدركون تلك الصعوبات . فهم لا يظهرون كمن يقدر دائما اننا في ذات الوقت الذي كنا فيه ننتقل من مكان لآخر ندمر سكة حديد أو موقعا عسكريا ونتمتع بما نصنع . كان هناك شخص آخر ملزم بالبقاء في الجزء الخانق في جدة معنيّ بأدامة التركيز على مهاجمة خطوط السكة . وقد يسرك أن تسمع ما يقوله فيصل والآخرون عنك في بعض الاوقات . وعلى كل حال فلي طلب لديك . ان الشريف غير راض عن مجيء جعفر ولم يوطن نفسه على قبول ذلك [ان جعفر باشا العسكري هو ضابط عراقي في الجيش التركي أخذ أسيرا من قبل القوات البريطانية بعد إندحار قوات السنوسي ، فتطوع للالتحاق بالثورة العربية وأصبح رئيسا لأركان قوات فيصل . ثم اصبح بعد ذلك واحدا من أهم الوزراء في العراق حتى قتل غيلة] . لقد قام جعفر بأعمال عظيمة وتمكن من جمع شمل الضباط وأعترف به زعيما لهم . ان ذلك سوف يعمل عمل السحر في رفع مستوى الانضباط في القوة كلها وخاصة لو تمكن من كسب عدد آخر من الضباط . وقد ذهب الآن

الى مصر لهذا الغرض • فهل تتصور أن بأمكانك أن تحصل من الشريف على رسالة يوجهها له يشكره على جهوده ويتحدث معه عن الآمـال المشتركة في المستقبل ؟ ان جعفر يشعر بحاجة لذلك وستمنحه هذه الرسالة الثقة بنفسه •

أتصور ان الحصول على مثل هذه الرسالة ليس سهلا كما يبدو ولكنك اذا ما لقيت اللحظة المناسبة أو كلفت صديقا حصيفا فقد تنجح في ذلك ، لأن طلبا مباشرا بهذا الشأن من الشريف يبدو غير مناسـب • آمل ان أذهب الى المدورة خلال ثلاثة أيام • فقد عطلني أحتياجي الى المال •

المخلص

لورنس

١٦ـ الى الكولونيل بي• سي• جويس
(القائد العسكري في اكبر)

١٩١٧/١١/١٣ [الازرق ؟]

عزيزي جويس

أرجو أن تقول لفيصل أننا ذهبنا الى الجفر ووجدنا زاعل وأباطي خائفين من المجيء معنا • وقد حاول كل من الشريف علي وعودة كل جهدهما لحثهما على المجيء ولكـن بدون جدوى • ان اباطي يكاد يتمرد على عودة ولا أظن اننا سنجد منهما اي نفع ، فلقد عاملناهما بأحسن مما يلزم •

ومن هناك ذهبنا الى باير حيث وجدنا مفلح بن زبن فذهب معنا وكذلك فعل فهد وأدحب بن زبن وكانا على أحسن مايرام • أعتقد أن هؤلاء الثلاث من أحسن الشيوخ العرب الذين ألتقيت بهم • وكان فهد قد أصيب في وجهه في عملية القطار وأرجو له ان يشفى • ومن باير ركبنـا الى الازرق حيث ألتقينا بجماعة السراحيين • ثم ركب معنا الشيخ مفلح بن بالي حتى الجسـر وقام

بواجبه خير قيام غير أنه وقبيلته ليسا على وفاق مع بني صخر • وجاء معنا الى الازرق الامير عبدالقادر حيث وضعنا خطة الهجوم على الجسر الذي في تل الشهاب ، ووعدنا بأنه سيأتي معنا ولم نشعر ان في الامر ما يريب غير انه فارقنا في نفس اليوم (دون أن يخطرني أو علياً أو أياً من العرب الذين معنا) متجها الى صلخد حيث لايزال مقيما هناك • فقل لفيصل أنني أظنه خائفا ، فهو يقول كثيرا ويفعل قليلا • ولم تصدر مني ولا من علي أية اساءة له •

ان في تل الشهاب جسرا بديعا يستحق التدمير إلا أن هؤلاء الناس من السراحيين قد ألقوا عنهم كل ما يحملونه من التفجيرات التي أملكها حالما بدأ اطلاق النار فلم أستطع عمل شيء ، فاذا لم يقم الاتراك بتعزيز الحراسة عليه فقد نقوم بالعملية بعدئذ ، إلا أن فقدان المتفجرات بمثل هذا العمل الغبي قد آلمني جدا • إن البدو لا يستطيعون الاستيلاء على الجسر الا انهم يستطيعون الوصول اليه اما الهنود فيستطيعون الاستيلاء عليه إلا انهم لا يستطيعون الوصول اليه •

ومن تل الشهاب قفلنا عائدين الى خط السكة جنوب درعا ودمرنا قاطرتين • كانت عملية خطرة جدا إلا أنها أنتهت كما يجب فلابد أننا قد قتلنا حوالي مائة تركي كذلك • ان علياً الصغير هذا رجل شجاع وكان يهب لنجدتي بكل جرأة كلما دعا الامر لذلك • فمن لم يبق مصاحبا في سفره لشخص ماهر وحذر مثلي فلسوف يلاقي حتفه بالتأكيد • فهو في الوقت الذي يلقي بنفسه في أية معمعة تحدث يبقى محتفظا بسيطرته الجيدة على العرب أثناء المسير ، وكان لطيفا للغاية معي ـ وأظنه في المقدمة بين الاشراف ـ إلا أن عليه أن يأخذ الامور بالهدوء وإلا فسأطلب شخصا آخر ليرافقني في جولاتي • ارجو ان تسلم فيصلا (وسناك ايضا) أية فقرات تشاء من التقرير المرفق المرسل الى كلايتن وأخبره ان جميع بلاد فلاحي حوران أخذوا يميلون الى صفه وكل ما يحتاجونه هو المال والاسلحة وأمرا يحركهم للعمل • ليس بأستطاعتنا

الحصول على أخبار ما حدث في غزة • أظن ان التقرير المرفق يصلح للنشر في الصحف • وأن علياً يستحق ان يذكر بشأنه فهو شاب غير اعتيادي • اما طلباتي الشخصية فستصلك في خطاب آخر •

المخلص

لورنس

[ادناه التقرير المرفق بالرسالة]

« في الحادي عشر من تشرين الثاني / نوفمبر قامت مفرزة من الجيش الشمالي للشريف فيصل • تحت قيادة الشريف علي بن حسين بن الحارث بمهاجمة سكة الحديد وقطارات نقل الجنود بين درعا وعمان • تم تدمير قاطرتين وعدد من العربات تماما ونسف أحد الجسور وقد خسر الاتراك عددا كبيرا من القتلى والجرحى وخسر العرب سبعة مقاتلين » •

[ادناه تقرير لورنس عن معركة سيل الحسا الذي نشره في العدد ٧٩ من النشرة العربية]

١٧ - معركة سيل الحسا

١٩١٨/١/٢٦ طفيلة

[النشرة العربية ، العدد ٧٩]

في يوم ١٩١٨/١/١٩ تحركت الى محطة قلعة الحسا قوة تركية مؤلفة من الفوج ١٥١/٣ والفوج ١٥٢/١ وفوج مرتب من اللواء ١٥٠ مع سرية من الجندرمة ومفرزة من مائة خيال ومدفعين جبليين سريعي الرمي من نوع نمساوي وثلاثة وعشرون مدفعا رشاشا كانت كلها بقيادة حميد فخري بيك

وكيل قائد الفرقة ٤٨ . غادرت هذه القوة مدينة الكرك ١/٢٣ لاحتلال طفيلة. كانت هذه القطعات قد جمعت على عجل من قيادات المناطق في عمان وحوران وأتجهت الى هدفها من الكرك وهـي تعاني من نقص في التجهيزات ، تاركة وراءها في الكرك قليلا من الافراد وبدون طعام . حدث أول أتصال بين هذه القوة ودورياتنا في سيل الحسا يوم ١/٢٤ بعد الظهـر ، وعندما حـل الليل استطاعت القوة التركية ان تجبر دورياتنـا على الانسحاب الى طفيلة . كان ضباط القوة الشريفية قد رتبوا موضعا دفاعيا على الضفة الجنوبية من الوادي الكبير الذي تقع عليه طفيله وتحرك الامير زيـد متجها الى هذا الموضع عند منتصف الليل ومعه ستون من الجنـود النظاميين وأربعمائة من الجنود غير النظاميين (من عقيل وبيشه ومطير) الذين كانوا قد جـاءوا معه من العقبة . وفي نفس الوقت تحركت القوة الشريفية الرئيسة منسحبة الى بصيرة ، وظن الجميع اننا كنا في حالة هزيمة . وأعتقد اننا فعلا كذلك .

لقد أصاب الرعب سكان طفيلة بطبيعة الحال . ولما كان الشيخ ذياب العوران قد أوصل لنا أخبارا مزعجة عن التذمر والغدر لدى السكان القرويين خرجت من داري قبيل الفجر وذهبت الى الشوارع المزدحمة لأسمع ما يقال . كان الناس يوجهون النقد الى الشريف بصورة علنية وكان فيه الكثير من عدم الاحترام إلا أنه يخلو من مظاهر عدم الولاء. كان جميع الناس يصرخون ذعراء وكانت الامتعة تخرج من البيوت وتكدس في الطرقات التي أختنقت بالرجال والنساء . وكان بعض العرب يسرعون على خيولهم في الشوارع وهم يطلقون النار في الهواء بصورة طائشة ووميض نيران المدافع التركية يظهر من بعيد عند أطراف التلال في مضيق طفيلة .

وعند الفجر تماما أخذت طلقات العدو تتساقط في بساتين الزيتون فذهبت الى الشريف زيد وأقنعته ان يبعث عبدالله أفندي (أصغر الضابطين اللذين كانا معنا وآمر قوة الرشاشات) ومعه أثنين من الرشاشـات لكي يسند قوة

الفلاحين التي ما زالت تحتفظ بالتلال الشمالية ، وقد أدى وصول عبدالله أفندي الى تشجيع هذه القوة على القيام بهجوم مقابل أستطاعوا فيه ان يطردوا الخيالة التركية التي انسحبت عبر سلسلة التلال الغربية والسهل الصغير بعدها حتى المرتفعات التي تؤدي الى وادي الحسا • واستطاع عبدالله كذلك ان يحتل هذه السلسلة من التلال وان يحتفظ بها بينما تمركز القسم الاكبر من القوة التركية في المنطقة التي تقع بعدها مباشرة • وأشتدت حدة القتال بين زخات غزيرة من نيران الرشاشات التركية وقصف مدفعيتهم الكثيف • أخذ زيد يتردد بشأن أرسال تعزيزات للامام لذلك ذهبت الى موقع عبدالله أفندي (على بعد سبعة اميال شمال طفيلة) لمعرفة الموقف • وفي طريقي الى هناك ألتقيت به راجعا بعد ان قتل خمسة من رجاله في المعركة وتعطلت احدى رشاشاته ونفذ عتاده • على أثر ذلك بعثنا برسائل عاجلة الى زيد لأن يرسل الى الامام مدفعا جبليا وما تيسر من الرشاشات وما يستطيع جمعه من الرجال ليحتلوا موضعا أحتياطيا يقع في الطرف الجنوبي من السهل الواقع بين وادي الحسا ووادي طفيلة ، وهذا السهل عبارة عن أرض مثلثة الشكل وطول ضلعه ميلان وله فتحة من جهة الشمال وهو ممر منخفض يمر من خلاله طريق الكرك الذي كانت القوة التركية تأتي عبره • وعلى جانبي السهل المثلث سلاسل من التلال المنخفضة وأستطاع عبدالله أفندي بهجومه ان يحتل كل التلال الغربية •

وبعد مغادرة عبدالله ذهبت الى الجبهة فوجدت الموقف صعبا الى درجة كبيرة • كانت القوة التي تدافع عن الموضوع عبارة عن ثلاثين فارسا من جماعة حويطات ابن جزي وحوالي ثلاثين فلاحا • كان الاتراك يعملون في الممر وسلسلة التلال الشرقية ويصبون نيرانا مركزة من حوالي خمس عشرة رشاشة على جبهة ومجنبة المرتفع الصغير البارز الذي كنا نقاتل فيه • كان الاتراك في تلك الاثناء يقومون بتصحيح نيران مدفعيتهم التي كانت تمرق قريبة من قمة

التل وتنفجر عند السهل ، وقد بدأت شظايا قنابلهم تغطي جوانب وقمة التل بغزارة • كان مقاتلونا يعانون من نقص في الذخـيرة وبدا أن مسألة احتلال الاتراك للتل أنما هي مسألة دقائق ثم ظهرت في الجو طائرة تركيـة مما جعل موقفنا اكثر صعوبـة • أعطينا جميـع ما أستطعنا جمعه من الاطلاقات الى الفرسان من قبيلة المطالقة ودفعنا الراجلين عبر السهل • وكنت من بينهم لأنني كنت قد وصلت من طفيلة مباشرة عبر المرتفعات ولم تكن قوة الحيوانات التابعة لي قد لحقت بي بعد • أستطاع الرجال الراكبون ان يصمدوا لمدة خمسة عشر دقيقة آخرى ثم عادوا الينا دون أن يمسهم أذى •

جمعنا قواتنا في الموضع الاحتياطي وهو سلسلة ارتفاعها حوالي ستين قدم وتشرف بصورة جيدة على السهل • كان الوقت حوالي الظهيرة وقد بلغت خسائرنا خمسة عشر رجـلا وبقي معنا ثمانون رجلا تقريبا غير ان بعد بضعة دقائق التحق بنا حوالي مائة وعشرون رجلا من عقيل ووصل رجالي مع رشاشة طوعية نوع هوچكس ورشاشتين مثلهما مع لطفي العسلي • فأستطعنا بذلك أن نصمد في موقفنا بسهولة حتى الساعة الثالثة عصرا عندما وصل الشريفان زيد ومستور ومعهما راسم وعبدالله وبصحبتهم مدفع جبلي (٢٫٩٥) عقدة من أسلحة الجيش المصري ورشاشتي فيكرز ورشاشتين كبيرتين هوچكس وخمس بنادق طوعية مع عشرين رجلا من المشاةراكبي البغال وثلاثين خيالا من المطالقـة وحوالي مائتي رجـل من القرويين • كان الاتراك يحاولون قصف موضعنا بالمدفعية والرشاشات إلا أنهم وجدوا صعوبة في تقدير المدى •

كانوا قد أحتلوا خطنا الجبهوي القديم وكان مداه عن مواضعنا (٣١٠٠) ياردة بالضبط حيث كنت قد حسبت المسافة بالخطوات عند عودتي من الموضع (ان من الصعب جدا تقدير المسافات بالعين في هذه المنطقة الجبلية) • حشدنا كل معداتنا على السلسلة التي نحتلها بينما أخذ راسـم كل الافراد الراكبين وأتجه بهم الى اليمين (وعددهم الآن حوالي الثمانين) ليقوم بعملية ألتفاف

حول السلسلة الشرقيـة ، وتمكن من التقـدم دون ان يلاحظه العدو حتى أستطاع أن يقترب الى مسافة ٢٠٠٠ ياردة من مجنبة القوات التركية • ومن هناك قام بهجوم راجل بقوة عشرة رجال وخمس بنادق طوعية مبقيا خيله في الاحتياط • وفي هـذه الاثناء كان لدى الاتراك من الاسلحة فقط خمسـة مدافع ماكسيم واربع رشاشات طوعية على الكتف الغربي من الممر فتحوا منها نيرانهم على مركز موضعنا • رددنا على نيرانهم برشاشاتنا الفيكرز والهوچكس وألقينا أثنين وعشرين طلقة مدفع على جبهة المرتفع • ثم وصلتنا تعزيزات بقوة مائة رجل من عيمـة (كان هؤلاء قد رفضـوا أمس أن يخدموا في القوات الشريفية بسبب خلافات حول الرواتب إلا انهم تركوا ذلك جانبا عندما جابهوا أزمة مشتركة) فدفعنا بهم مع ثلاثـة رشاشات هوچكس الى جناحنا الايسر فأستطاعوا أن يزحفوا خلف السلسلة الغربيـة حتى وصلوا الى مدى مائتي ياردة عن مواضع الرشاشات التركية دون ان يلاحظهم العدو في نفس الوقت الذي قمنا فيه بشن هجوم جبهوي بقوة ثمانية عشر رجلا ورشاشتي فيكرز ورشاشتي هوچكس ثقيلتين •

كانت أرض الموضع التركي من حجر الصوان فلم يستطيعوا أن يتخندقوا فيها • مثلما لـم نستطع نحن أيضـا في الصباح ، وكان تنطط الاطلاقات على الصخر مرعبا • خسر الاتراك العديد من الرجال وأستطاع رجال جناحنا الايسر أن يهجموا على موضع الرشاشات التركية وهم يصبون عليه صليات كثيفة من نيران اسلحتهم وأستطاعوا إبادة القوة والاستيلاء على اسلحتها • ثم هجمت قوتنا الراكبة على القوة التركية المنسحبة عند جناحنا الايمن بينما دفعنا الى الامام قوات المشاة والرايات الى قلب الموضـع • أستطاعت قواتنا ان تحتل خطوط الاتراك عند الغروب ثم طاردت العدو عبر مواضع أسلحته حتى بطن وادي الحسا ، حيث وقفت قواته الخيالة بوجه قواتنا المتقدمة التي لم تتمكن من مواصلة أندفاعها حتى حل الظلام • وعند هذه النقطة تخلى معظم رجالنا

عن مواصلة عملية المطاردة (لم يكن لدينا طعـام منذ يوم أمس وكان البرد قاسيا) إلا ان رجال البدو من الكرك واصلوا غاراتهم على العدو المنسحب طوال الليل .

بلغت خسائرنا حوالي خمسة وعشرين قتيلا وأربعين جريحا . ويذكر أن رجال بن جازي الحويطات بقيادة حمد العرار قد أبلوا بلاءً حسنا كما كان القرويون جيدين ومضبوطين .

١٨- الى الميجر آر. أج. سكوت

١٩١٨/٨/٢٧ [أبا اللسان]

عزيزي سكوت

أنني شديد الاسف لأزعاجك غير أنني أجـد تغييرا في خططي الشخصية وأفتقد وسيلة للتنقل . ولهذا أتصلت بك اليوم تلفونيا ورجوتك ان تطلب من الشريف يوسف أن يبتاع لي (على نفقـة عمليات شمالي الحجاز) أربعة من إبل الركوب الجيدة كاملـة بعدتها وأن يستأجر لي خادمين مـن قبيلة عقيل ويعطيهما ما يكفيهما لشهر من الدقيق والرز وعشرة باونات ثم يبعثهما لي الى أبي اللسان على وجه السرعة . آنذاك سأبدأ مهمتي . إن حرسي الخاص ينتشر كالعادة عبر ألف ميل في بلاد العرب . وأرجو ان يقوم يوسف بما أطلبه دون أية مضايقة لك . فإذا غادر هذان العقبة يوم ٢٨ فأنهما سيصلان هنا يوم ٢٩ وسيكون ذلك خير تدبير . أن فيصل يريد ألفي باون نقدا فهلا بعثتها له ان تيسرت لديك وتحسب ذلك على حسـاب المنحة الخاصة ؟ . فإذا كان ذلك صعبا فأرجو أن تضيفها الى حسابات شـهر أيلول/سبتمبر ، أنتظارا لموافقة القاهرة (التي قمت بطلبها) حول تقديم هدية لفيصل مقدارها أثنا عشر ألف باون .

اما حول مادة التفجير (الجلاتين) فإن آخر شحنة كانت من نوع الجلكنايت وذلك غير ما أردت . فهل بأمكانك أن تتأكد ان كان هناك مقدار من النوع القديم ، فإن وجدت منه أن تخبرنا في أبي اللسان عنه ؟ آنذاك سأبعث لك بجملين لنقلها . كما ستصل في يوم ٨/٣٠ الى العقبة قافلة صغيرة أرسلتها لاستلام رشاشات لويس وأشياء أخرى . ان الحيرة لتغمرنا ونحن نهيم في متاهات لا نهاية لها ولست على يقين من اننا سنصل في النهاية الى حيث ندري أو أننا سنستطيع ان نعمل شيئا ما . أن رأسي يدور في دوامة .

بلغ تحياتي الى النخبة .

المخلص
لورنس

١٩ـ تحطيم الجيش الرابع

[النشرة العربية . العدد ١٠٦]

بفضل الألفي بعير التي بعثها الينا الجنرال آلنبي في شهر تموز / يوليو، أجرينا حساباتنا وتوصلنا الى أننا نتمكن ان نبعث الى منطقة الازرق حملة عسكرية للقيام بعمليات في منطقة درعا تتألف من قوة هجانة من أربعمائة وخمسين بعيرا من الجيش العربي النظامي وأربعة رشاشات فيكرز عربية وعشرين رشاشة هوچكس عربية وبطرية جبلية من أربعة مدافع فرنسية عيار ٦٥ر. سريعة الرمي وطائرتين بريطانيتين وثلاث مدرعات بريطانية مع ما يلزم من مقطورات الادامة وسرية هندسة نسف من فيلق الهجانة المصري وفصيل من هجانة الگورگة . والى جانب ذلك كان لدينا أنا والشريف ناصر أفراد الحراسة الشخصية من العرب راكبي الجمال . وصل مجموع قوتنا بذلك الى ألف رجل وبدا لنا ان فرص النجاح أمام الحملة كبيرة جدا . إلا أن مشكلة التموين كانت كبيرة جدا وخاصة فيما يخص الوقود والعتاد وكنا ندبر أمورنا

يوما بعد يوم دون أحتياطي من هذه المواد ، غير أننا لم نكن في يوم من الايام في حالة عوز خطير •

بدأت القوة بمغادرة أبي اللســان في أوائل أيلول / سبتمبر على شكل مفارز وأخذت بالتحشد في الأزرق مستهدفة ان يتم ذلك في الثاني عشر من الشهر • كانت المسافة بين العقبة والأزرق مائتين وتسعين ميلا واستعملنا في طريقنا آبار المياه في جفر وباير وعماري • كانت نيتنا ان نعمل في الازرق على تجميع قبيلة الروالة ثم نتجه بكامل قوتنا الى منطقــة حوران ونشن هجوما مباشرا على درعا التي لم يكن يدافع عنها أكثر من خمسمائة مسلح • إلا أن هذه الخطة قد أفسدها علينا الهيجان المفاجيء لملك الحجاز ضد جعفر باشــا والضباط الكبار الذين في الجيش الشمالي• لأن الازمة التي أثارها قد أثرت بصورة سلبية على أمزجة الناس في المنطقة وأدت الى تأخيري في أبي اللسان حتى الرابع من أيلول / سبتمبر • وكنتيجة لذلك لم تنجح خطة تجميع الروالة وأضطررنا الى تغيير خططنا • وفي نهاية الامر عزمنا على شن هجوم خاطف على خطوط السكة الحديدية الشمالية والغربية والجنوبية في درعا بواسطة قواتنا النظامية وخيالية الروالة الذين بقيادة خالد وطراد شعلان وأي عدد من فلاحي منطقة حوران ممن لديهم الشجاعة الكافية لأن يعلنوا ولأئهم لنا •

وأثناء مكوثنا في الازرق وضعنا خطة كاذبة ظاهرها الهجوم على عمان • أرسلنا الى مثقال بالاموال والتعليمات السرية للغاية بأن يشتري لنا وللانكليز ذخيرة من الشعير لاغراض حملتنا العسكرية المشتركة ضد عمان والسلط في الثامن عشر من الشهر وأوعزنا الى بني شكر ان يتجمعوا في زيزه لمعاونتنا • أن انتشار هذه الاشاعة الى جانب الاشاعة عن نيتنا في الهجوم بنفس الوقت على درعا والتي عززتها ايضا أشارات وصلت لهــم من فلسطين أبقت أنتباه الاتراك مشدودا الى منطقــة الاردن وما الى الشــرق منها • حيث خطوط مواصلاتهم طويلة جدا وبحاجة الى عدد كبير من الرجــال لحمايتها وما تزال

بحالة واهنة تجاه قوة بمستوى قوتنا من الحجم وقابلية الحركة رغم كل ما بذلوه من جهود لحمايتها . غادرنا الازرق في اليوم الثالث عشر وسرنا على أمتداد وادي (جيان الخنة) الى داخل منطقة جيل الدروز المملؤة بأحجار البازلت المتناثرة . وسيقت وحدتا القوة المصرية وقوة الگرگة غربا لقطع طريق عمان عند المفرق إلا أنهما لم تصلا هناك أبدا بسبب صعوبة التفاهم مع الأدلاء. ولكن الطائرة العائدة لنا من نوع بريستول فايتر أسقطت في نفس اليوم طائرة المانية ذات مقعدين قرب أم الجمال ، لذا فإن كل شيء على ما يرام .

وفي الخامس عشر من الشهر وصلنا أم طي على بعد ثلاثة عشر ميلا الى الشرق من درعا. فكانت هذه المنطقة (ومنطقة أم سراب المجاورة لها) قاعدتين متقدمتين لنا لكونهما محاطتان بعدد من أحواض المياه المتجمعة من أمطار السنة الماضية . وفور وصولنا ألتحق بنا الرجال من سكان القرى القريبة وكذلك جاءنا الشيخ طلال من طافاس ، وهو أفضل مقاتل في حوران ، وكان قد جاءني في الازرق سنة ١٩١٧ . وافق طلال على ان يكون لنا دليلا وسار معنا حتى وافته المنية في درعا ، بعد أن قدم لنا المساعدة ليل نهار وكان خير راع وسند لنا في كل قرية مررنا بها . ولولا نشاطه وشجاعته وأمانته لواجهتنا صعوبات كبيرة في معظم الاوقات .

كان مايزال من اللازم علينا ان نقطع خط السكة بين درعا وعمان ، ليس فقط لكي نضفي على عملياتنا طابع الاثارة بل لكي نقطع الطريق على التعزيزات التي ترسل من درعا الى الجنوب . كانت خطتنا ان نتمركز بين درعا وفلسطين لكي نجبر العدو على أن يرسل التعزيزات من فلسطين الى درعا . ولو كنا قمنا بمجرد تحريك القطعات من عمان الى درعا لجعلنا موقف الأتراك في فلسطين أفضل ولأنتهينا ربما الى الهزيمة والوقوع في الاسر .

ولما كان القسم الاكبر من قوة الجيش ملزمة بالحركة الى الامام على الفور فإن القطعة العسكرية الوحيدة التي تتيسر لدينا للقيام بعملية قطع السكة

كانت وحدة العجلات المدرعة والتي ليست ملائمة تماما لهذا النوع من الواجب • ومع ذلك تحركنا بجميع العجلات التي تيسرت لدينا متجهين نحو خط السكة وأستطعنا بصورة مباغتة ان نستولي على موقع تركي بدا على جنوده الذهول عندما جعلتهم المفاجأة يتأخرون في إدراك حقيقة اننا قطعات معادية لهم • كان الموقع مسؤلا عن حماية جسر ذي أربعة أعمدة (عند الكيلومتر ١٤٩) يبلغ طوله حوالي خمس وعشرين مترا وارتفاعه ستة أمتار وعليه قطعة جميلة من المرمر نقش عليها أسم السلطان عبدالحميد • قمنا بنسف كل ذلك الهيكل بواسطة شحنة من المتفجرات ذات مائة وخمسين كيلوغرام وقمنا بما أستطعنا ان نفعله تجاه المحطة •

وفي طريق عودتنا تعرضت احدى سياراتنا الى حادث وكان الطريق وعرا لذلك لم نستطع اللحاق بقطعات الجيش إلا بعد الفجر في اليوم السابع عشر وهو في طريقه قرب تل عرار على بعد خمسة أميال الى الشمال من درعا • وفي طريقنا قضينا على موقع تركي صغير وبعض الخيالة الاكراد وباشرت جماعات التخريب عملها على خط السكة • أستطاع الفرنسيون ان ينسفوا قسما من الجسر وخرّب المصريون ستمائة زوج من قطع الخط الحديدي بأتجاه محطة الغزالة قبل ان يبزغ الفجر • وفي هذه الاثناء تسلقنا الى قمة تل عرار الذي كان يشرف تماما على درعا على مسافة أربعة أميال وأكتشفنا ان هناك تسع طائرات معادية في المطار • كانت طائرتنا قد تعرضت لاصابات قللت من فعاليتها لذلك لم تعد طائرات العدو تخشى منافسا وأستطاعت لوقت ما أن تفعل بنا ما تشاء بقنابلها ورشاشاتها • لقد حالفنا شيء من الحظ وأستطعنا ان نستعمل مدافعنا الجبلية ورشاشاتنا ماوسعنا ذلك إلا أننا عانينا من نشاط طائرات العدو حتى ظهرت في السماء طائرتنا الوحيدة التي بقيت تعمل ، وهي من نوع (بي أي ١٢) ، جاءتنا قادمة من الازرق وسرعان ما أنساقت في خضم المعمعة • صرنا تتفرج على المهرجان الجوي بشعور مزيج من الخوف والامل لأن

الطائرات التركية الاربع ذات المقعدين واربع آخرى نوع سكاوت كانت أكثر من ندٍ لطائرتنا الوحيــدة في الجو . غير أنها بفضل الحظ المناسب او نتيجة للمهارة استطاعت ان تشتبك مع طائرات العدو وتدفع الجميع غربا ثم طاردتهم الى الغزالة ، بينما لجأنا نحن الى الاستفادة من هذه الفرصة لأن نرتب ونبعث برتل مختلط الى مزيريب لقطــع خط مواصلات فلسطين . وبعد أن تم ذلك مباشرة ظهرت في السماء مرة آخرى طائرتنا الوحيدة ومعها ســرب الطائرات المعادية . وبعد أن أشار طيارنا ان وقود طائرتــه قد نفذ هبط بها على أرض قريبة منا وتسببت وعورة الارض في أن تنقلب الطائرة على ظهرها ثم جاءت أحدى الطائرات المعادية وأجهزت عليها بقنبلة حققت فيها أصابة مباشرة . لم يصب طيارنا بأذى في الحادث وأستطاع بعدئذ ان يستعمل رشاشة طائرته نوع لويس وينصبها على سيارة فورد ويجول بهــا قرب درعا ليقطع خط السكة الحديد لغرض ان يعترض أية امدادات على الطريق .

وصلنا بحيرة مزيريب حوالي الواحدة بعد الظهر . وعند الثانية أستطعنا ان نستولي على المحطة الفرنسية ونهبها . إلا ان المحطــة الرئيسة على خط فلسطين كانت صعبة المنال فانتظرنا حتى الثالثة ريثما تصل قوة راكبي الجمال والمدافع . فقمنا بشن الهجوم عليها بصورة نظامية تبع ذلك حملة صولة بعد بضع دقائق . ولما كانــت جماعات النسف ماتزال تواصــل عملياتها على خط دمشق فلم يكن بمقدورنا ان نفعل الكثير من اعمــال التخريب إلا أننا طهرنا المحطة وأحرقنــا العديد من المركبات وسيارتي لوري وكسرنا بعض النقاط وزرعنا عددا لا بأس به من شحنات التفجير في خط السكة . وأكثر ما سبب الضيق للاتراك كان تقطيع خطوط التلغراف بين فلسطين وسوريا ، هنا وفي تل عرار .

قضينا ليلتنا في مزيريب وأنضــم الينا المئات والمئات من مزارعي منطقة حوران . وتحرك عدد منا خلال الليل مقتربين الى مسافة ثلاثمائة ياردة من تل

الشهاب بنية الهجوم عليه ، إلا أنهـم فوجئوا بأن كولونيلا المانيا مع بعض المدافع والتعزيزات كان قد وصل الى هناك لتوه • وكان مما شجعنا أن نعلم أننا قد قمنا بالوقت المناسب يوم الثامن عشر من الشـهر فقد حركنا الكتيبة الاحتياطية في العفولة لكي تنضم الينا وأرضينـا أنفسنا بأننا قد نسفنا خط السكة الى الغرب من تل الشهاب ، وفي زيزون الى الغرب من ذلك •

وفي الصباح التالي قمنا ببعض الاعمال البسيطة في مزيريب ثم تحركنا عبر الرمثة حتى العصـر عندما وصلنا الى موضـع يقع الى الغرب من محطة نسيب • وبعد مقاومة ضارية وقصف مدفعي تمكنا من القضـاء على موضع العدو عند الجسر الكبير الكائن شمالي المحطة ومن نسف ذلك الجسر • كان ذلك بالنسبة لي الجسر التاسع والسبعين الذي أفوم بنسفه • كان لهذا الجسر ثلاثة أقواس بعرض سبعة أمتـار لكل منها وارتفاعه حوالي خمسة وعشرين قدما وله أعمدة سمكها خمسـة أقدام فكان بذلك واحدا من أبدع الجسور التي نسفناها •

قضينا الليلة في نسيب وتحركنا جذلين في الصباح نحو أم طية ، يجدّ في أثرنا قصف من مدفع كان قد جـاء الى نسيب بواسطة القطار فكان يصب قذائفه بعنف في مؤخرة رتلنا • وألتقينا مع العجلات المدرعة في أم طية والتي كانت قد عادت مباشرة من تل عرار بعد حماية عمليات النسف ، ولما كنا قد شاهدنا ذلك الصباح طائرة معادية تهبط بالقرب من خط السكة الحديدية الى الغرب من أم طية أخذنـا سيارتين مدرعتين وذهبنا فورا لنلقي نظرة عليها • وهناك شاهدنا ثلاث طائرات ذات مقعدين إلا أننا لـم نستطع أجتياح أرض المطار بسبب وادٍ عميق حال بيننا • قامت طائرتان منهن بالاقلاع فورا واخذتا تصبان نيرانهما علينا إلا أننا أستطعنا ان نصـب ألفا وخمسمائة أطلاقة على الطائرة الثالثة ونقضي عليها • وفي طريق عودتنا عادت الينا هاتان الطائرتان بعد ان حملتا بالقنابل من درعا وأغارتا علينا اربع مرات ، غير ان القصف لم يكن

دقيقا وأستطعنا الافلات بدون اصابات تقريبا • كان قتال العجلات المدرعة من الطراز الاول الا أنها كانت هدفا سهلا للطائرات التي تقاد جيدا • وانقضت بقية النهار ونحن في أم طية نعاني من القصف الشديد من طائرات العدو • وفي تلك الليلة (ليلة التاسع عشر من الشهر) تحركت عجلـة مدرعة مع الوحدة المصرية ووحدة الگرگـة بأتجاه سكة الحديد عند الكيلومتر ١٥٤ وقامت بنسف عدة قطع من الخط • كان الغرض هو أن نعرقل أعمال فـرق التصليح التي كانت تسعى بجد لأصلاح الجسر الذي نسفناه في السادس عشـر من الشهر عند الكيلومتر ١٤٩ (وكانت بعض قطع المدفعية والرشاشات والمشاة تقدم لها الحماية) وأستطعنا ان نشاغل قطار التصليح من مدى ثمانين ياردة فقط ونجعله يسرع عائدا الى المفرق • وفي اليوم التالـي ذهبت الى الازرق ومن هناك ذهبت بالطائرة الى الرملـة ورجعت في اليـوم الثاني والعشرين مصطحبا معي ثلاث طائرات نوع بريستول فايتر • وفي الصباح الباكر أستطاعت هذه الطائرات أن تحلق مرتين في الجو ونجحت في أصطياد طائرة تركية ذات مقعدين وثلاث طائرات سكاوت • وبعد ذلك لم يستطع الاتراك التأثير علينا من الجو • وبعد الفطور ذهبت مرة أخرى الى الازرق ثم رجعت عند المساء الى أم السراب مع فيصل ونوري شعلان لرؤيـة الطائرة نوع هاندلي پيج • وكانت قد قلبت الكفة لصالحنا في جميع منطقة حوران •

وفي اليوم التالي ذهبت القطعات النظامية بأتجاه الجسر عند الكيلومتر ١٤٩ حيث كانت عملية اصلاحه على وشك الانتهاء وبعد قتال عنيف أستطاعت أن تطرد قوة الحماية التركية ، ومن بينهم بعض الالمان الذيـن كانوا يقاتلون بعناد برشاشاتهم • أستطاعت قواتنا ان تدمر المزيد من خط السكة وأحرقت الهيكل الخشبي الذي نصبه الاتراك على الجسـر بجهد دؤب أستغرق منهم أسبوعا من العمل المتواصل • كان عمل قطعات المدرعات والمدافع الفرنسية ممتازا جدا ذلك اليـوم وكذلك كان رجال الخيالـة من قبيلة الروالة بقيادة

نوري شعلان شخصيا • ونوري شعلان رجل هاديء ومنكمش على نفسه ، قليل الكلام إلا أنه عظيم العمل • ذكي واسع الاطلاع وحاسم الطبع • وأحسن شيوخ العرب الذين ألتقيت بهم على الاطلاق • كانت قبيلته طيعة في يديه وكان يعرف ما ينبغي ان يفعله فيفعله •

أصبحت القوات البريطانية في هذا الوقت (الرابع والعشرين من ايلول/ سبتمبر) متقدمة الى موقع أجبر الاتراك على سحب الجيش الرابع الى الخلف للدفاع عن درعا ودمشق ، مع أننا كنا قد أعتبرنا هنا الجيش صيدا من نصيبنا • وبسبب استعجالهم في الانسحاب ولكوننا سيطرنا على خط السكة الحديد فقد تخلى الاتراك عن فكرة الانسحاب من عمان بواسطة القطارات وباشروا تنقلهم على الطريق متجهين نحو مواقعنا بكل مدفعيتهم ووسائط نقلهم فحركنا نحوهم قطعاتنا الخيالــة التي أجبرتهم على التخلي عن مدافعهم وعرباتهم في الموقع مابين المفرق ونسيب ، وفقدوا كذلك الكثير من الرجال وأصبح ذلك الجيش المنتظم المسيرة كأنه جمع مضطرب من الفارين الذين لم تتح لهم الفرصة لأن يعيدوا تنظيم مسيرتهم مرة اخرى • وبدا لنا أن بأستطاعتنا أن نجسر على التمركز بين درعا ودمشق (في مكان ما ، في شيخ سعد على سبيل المثال) لأجل أن نجبر الاتراك على الانسحاب فورا من درعا ، فيكون ممكنا حينئذ أن نقوم بما يجب ضد هذه العصبة من الجيش التركي الرابع عند انسحابها من درعا وكذلك ضد بقية جيش فلسطين المنهزمة عن طريق إربد وسمخ • وعلى هذا الاستناد تحركت قطعات الهجانة والمدفعية والرشاشات متجهة نحو الشمال في الخامس والعشرين وعند عصـــر اليوم التالي تمكنت من الوصول الى خط السكة ما بين الغزالة وعزرا •

بوغت الاتراك تماما بهـــذا التحرك (وهم على ماهم فيه من الرعب) • كان خط السكك قد أعيد تصليحه وفتحه لحركة القطارات في اليوم السابق ، (بعد تلك التخريبات التي أحدثناها فيه في السابع عشر من الشهر) ، إلا اننا

قطعناه مرة اخرى في حركتنا هذه فحجزنا في درعـا ستة قطارات ، أصبحت بعدئذ من غنائمنا ، وأستولينا على غزالة وجنودها المائتين وعلى المدفعين فيها . وبعدها موقع عزرا الذي كان يدافع عنـه عبدالقادر الجزائري ، وهو مسلم متعصب للدين وموال للاتراك ، وكذلك مقـدارا كبيرا من المعدات . وبعد ذلك تحركنا وقضينا ليلتنا قرب شيخ مسكين .

أخذت تصل الى الاتراك أخبار مبالغ فيها عن قوتنا فأصدروا الاوامر بالانسحاب فورا من درعا على الطريق البري بينما بينما قام الالمان بأحراق الطائرات الخمس المتبقية لديهم هناك . وبذلك بلغ عدد الطائرات التي تسببنا في تدميرها احدى عشرة طائرة منذ الثالث عشـر من أيلول/سبتمبر . وعند الفجر في اليوم السابع والعشرين وصلنا الى شيخ سعد في الوقت المناسب حيث أسرنا سريتي رشاشات تركيتين كانتا في طريقهما الى القنيطرة للوقوف بوجه القوة البريطانية التي كانت تتقدم على ذلك الطريق ، ثم توقفنا أعلى التل في شيخ سعد وأخذنا نراقب المنطقة من هناك ، فإذا ما شاهدنا رتلا صغيرا للعدو أسرعنا في ايقاعه بالاسر . اما عندما نشاهد رتلا كبيرا فكنا نختبيء عن انظاره. عذرنا في ذلك ما أصابنا من أجهاد ، كما أننا لم نكن سوى تسعمائة رجل فقط. في هذه الاثناء ألقت علينـا الطائرات رسـالة تفيد بوجود رتلين من القوات التركية يتحركان بأتجاهنا . واحد من درعا بقوة ستة آلاف جندي والآخر من مزيريب بقوة ألفين . صار قرارنا أن نتصدى للرتل الثاني لكونه يتناسب مع قوتنا فبعثنا بقواتنا النظامية للتصدي له الى الشمال من طافاس ، بينما بعثنا خيالة حوران لمشـاغلة أطـراف الرتل الكبير ، وكلفنا بعض الرجال من قوة الفلاحين الراجلين لحماية جسر تل الشهاب الذي كان الاتراك يحاولون نسفه.

تأخرنا في منع الرتل القادم من مزيريب من الوصول الى طافاس (بسبب دخول قواتنا في أشتباك ناجح مع فوج من المشاة التركي عندما كانت في طريقها الى الواجب) . تمكن الاتراك من تحصين موضعهم في طافاس ، وعند دخول

ترعة ، وهي آخر قرية يدخلونها ، أنصرفوا الى أغتصاب جميع النساء اللواتي تمكنوا منهن . وعندما واصلوا حركتهم بعد ذلك هجمنا عليهم بكل اسلحتنا وأجبرناهم على تغيير وجهتهم رجوعا الى تل عرار . وعندما أطلّع شريف بك، آمر قوات الاتراك في مؤخرة الرتل ، على ما حدث أمر بقتل جميع سكان القرية ، كان من بينهم نحو عشرين طفلا (قتلوا بالحراب والبنادق) وحوالي أربعين أمرأة . وقد لاحظت بصورة خاصة امرأة حامل غرست فيها حربة بندقية . ولسوء الحظ كان الشيخ طلال ، وهو شيخ طافاس معي ومع عودة أبو طي في المقدمة عندما شاهدنا هذه المناظر . كان هذا الشيخ قلعة شامخة من القوة بالنسبة لنا منذ بداية العمليات وكان واحدا من أرزن وأشجع الفرسان الذين صادفتهم على الاطلاق . وعندما شاهد طلال هذه المناظر أطلق صرخة مرعبة ولف كوفيته على وجهه وهمز حصانه وأندفع بأقصى سرعته مقتحما مؤخرة الرتل التركي المنسحب فسقط هو وفرسه مضرجا بدمائه وسط حراب الجنود الاتراك تمزق جسمه أطلاقات الرشاشات .

تمكنا بمساعدة عودة أن نقطع رتل العدو الى ثلاثة أقسام ، أستطاع القسم الثالث منها أن ينجو من الهلاك بعد ان خسر عددا غير قليل من رجاله وذلك بفضل المقاومة الرائعة لفصائل الرشاشات الالمان ، وكان من ضمن القوة الناجية جمال باشا بسيارته . أما القسمان الأولان فكان مصيرهما الهلاك بعد قتال مرير . وأصدرنا الامر بالقضاء على أفراد العدو بدل أسرهم وأطاع رجالنا هذا الامر . عدا أن سرية الاحتياط أسرت مائتين وخمسين رجلا أحياء (من بينهم الكثير من الجنود الاتراك) . وشاهد رجالنا بعدئذ أحد جنودنا مصابا بكسر في فخذه وقد قتله العدو بعد ذلك بطعنات قاتلة من حرابهم ففتحنا أفواه رشاشاتنا نحو أسرى العدو وقضينا عليهم أجمعين دون أن ينطقوا بشيء . ان الوهم الشائع من ان الفرد التركي مقاتل نزيه ورحيم قد جعل بعض أفراد القوات البريطانية يوجهون النقد الى طريقة العرب في التعامل مع خصومهم

الاتراك ــ غير ان هؤلاء البريطانيين لم يدخلوا قرية ترعة أو طافاس أو سبق لهم ان شاهدوا كيف يقوم الاتراك بقذف الجرحى من الاسـرى داخل عربة قطار محترقة كما حدث لافراد الجيش العربي في جردون • أما القرويون من العرب فقد سحقهم وسحق أجدادهم طغيان هؤلاء الاتراك لمدة خمسمائة سنة•

ثم بعثنا رجال الخيالـة من قبيلة الروالـة الى درعا مباشرة مع أوامر لتمزيق أية تشكيلات تركية يصادفونها في طريقهم ثم أحتلال المنطقة • اشتبكوا في طريقهم بمعركتين أو ثلاث ثم تمكنوا من احتلال محطة درعا بهجوم كاسح قافزين فوق الخادق فقضوا على عناصر العدو التي حاولت الدفاع عن الموضع• وفي صبيحة اليوم التالي جاؤنا بثلاثمائة أسير من راكبي البغال وحوالي مائتي أسير من جنود المشاة ومدفعين • وقـد أستطاع الاتراك والالمان ان ينسفوا جميع ذخائرهـم قبل ان تنجح جماعتنا في الاستيلاء عليهـا • أمضت قواتنا النظامية تلك الليلة في شيخ سعد ، ولم تكن ليلة مريحة • لم نكن نعلم بعد اننا قد كسبنا المعركة فقد كان هناك خوف مستمر من أن تكتسحنا موجة كبيرةمن قوات العدو المنسحبة • ثم ذهبت لتفقد خيالتنا من حوران عند الشيخ مسكين حيث كانوا يرصدون بعنـاد الرتل التركي الكبـير القادم من درعا ، وكانوا يخسـرون أكثر مما يربحـون • وعند منتصف الليل رجعت الى شيخ سعد فوجدت ناصر ونوري على وشك الحركة الى درعا : ووجدنا انفسنا نتسابق ، فأستطاعت قطعاتي راكبة الجمال أن تسبق خيالة المقر وألتحقت بقوات طراد الشعلان في درعا عند الفجر • وكان أمامنـا بعض الاعمـال التي لابد منها لترتيب الشؤون المحلية اللازمة هناك •

ركبت بعد ذلك متجها غربا حتى ألتقيت بطلائع الفرقة البريطانية الرابعة فصرت دليلها الى درعا • بقيت هذه الفرقة ليلة واحدة فقط هناك وتحركت يوم التاسع والعشرين نحو دمشق بعد أن كلفتنا بواجب حماية جناحها الايمن• وبناء على ذلك سـرنا على امتداد خط الحجـاز ، وكان ذلك ملائما جدا لنا

فلحقت قوات الخيالة الثلاثمائة من الروالة وأبي طي بقوات خيالة حوران التي كانت تشاغل رتل درعا التركي قرب مسمية ، ومن بعدهم لحقت قوات الهجانة التسعمائة من الروالة .

كانت تقارير طائراتنا تفيد بأن هذا الرتل بقوة ستة آلاف رجل . وفي اليوم التالي في شيخ مسكين ظهروا بقوة خمسة آلاف . ثم ظهروا بقوة ألفي رجل في كسوة عندما ساقتهم خيالتنا نحو لواء الجنرال كريكوري . كان الفضل في هذا التناقص المستمر في قوة الاتراك يعزى لنشاط قواتنا غير النظامية ، لأن الجيش العربي النظامي الذي لم يكن يجيد ركوب الجمال في المعركة ، كان يسير بسرعة لا تزيد إلا قليلا عن سرعة الخيالة البريطانية ، كما أنه لم يشتبك بأي قتال بعد درعا .

جرت المعركة في كسوة على ما يرام . كانت القوات التركية تتحرك على أمتداد وادي خط الحجاز برتل طويل متناثر ، وتتوقف عن المسير كل بضعة أميال لفتح نيران مدافعها على القوات العربية . وعلم ناصر ان اللواء الامامي من الفرقة الرابعة البريطانية يقترب من خان ذنون لذلك أسرح بخيله وعبيده ومعه نوري شعلان وعبيده حيث بلغ مجموعهم حوالي الثلاثين وأخذوا يعترضون الرتل التركي بين جبل مانع وغابة الاشجار في خياته ثم لجأ الى الاشجار ليشاغل الاتراك ويؤخرهم هناك ريثما تصبح القوات البريطانية مستعدة لقتالهم . لم يكن البريطانيون قد شاهدوا هذا الرتل التركي أو سمعوا به فكانوا يتحركون بنظام المسير إلا أنهم حالما علموا بما ينتظرهم أرسلوا خيالتهم الى الشمال والغرب والجنوب من القوات التركية وفتحوا عليها نيران مدفعيتهم . بدأت هذه المعركة عند غروب الشمس . وقبل أن يخيم الظلام أصبحت القوات التركية شذر مذر وتسلقت شاردة السفوح الشديدة لجبل مانع وهم يجهلون أن قوات ولد علي وأبي طي تنتظرهم هناك بكامل قوتها وهكذا انتهت قصة الجيش الرابع التركي .

أما عودة ، الذي أصابه الكلل من كثرة ما ذبح من أفراد العدو ، فقد قبض على آخر ستمائة أسير منهم ، وبلغ مجموع من قتلناهم حوالي خمسة آلاف فرد من العدو وأسرنا حوالي الثمانية آلاف (كنا عندما نأسرهم ننزع عنهم سلاحهم وأمتعتهم ونبعث بهم الى أقرب قرية حيث يسخرون للعمل في الارض حتى أشعار آخر) وبلغ ما غنمناه حوالي مائة وخمسين رشاشة وما بين خمس وعشرين وثلاثين مدفعا •

دخلت خيالتنا ذلك المساء الى دمشق (٣٠ أيلول/ سبتمبر) وكانت الحرائق التي أشعلت في أكداس العتاد قد قلبت الليل نهارا • وحتى في كسوة كانت أصوات الانفجارات شديدة فلم نستطع النوم • وفي مدينة دمشق أعلن شكري الايوبي وبقية أعضاء المجلس البلدي عن سلطة ملك العرب ورفعوا العلم العربي حالما غادر المدينة كل من مصطفى كمال وجمال باشا • وقد كانت معنويات الاتراك والالمان هابطة الى درجة أنهم ساروا خارجين من المدينة والعلم العربي يرفرف فوقهم دون ان يتلفظوا بكلمة إحتجاج ، وكذلك كان مستوى السيطرة في المدينة جيدا بحيث لم يحدث شيء من النهب أو وقع القليل منه فقط •

وفي صبيحة الاول من تشرين الاول / اكتوبر دخلنا المدينة أنا وناصر ونوري والميجر سترلنگ وقوبلنا بتحيات منقطعة النظير من قبل مسلحي المدينة •

أعتقد أن عليّ أن أسجل على الورق كلمة عما حدث بعد أستيلائنا على المدينة • وجدت في بناية مجلس المدينة كلا من الجزائريين محمد سعيد وعبدالقادر اللذين كانا قد أستلما زمام الحكومة المدنية المؤقتة لعدم وجود في دمشق من يستطيع مقاومة قوات الحراسة المغاربة لديهم • انهم مجانين وموالين للاتراك ومتعصبين للدين الى درجة مزعجة • وبناء على ذلك بعثت بطلبهما وأعلنت أمام مجلس البلدية وشيوخ الحارات أنني بصفتي ممثلا للملك فيصل

أعلن عن تنصيب شكري الايوبي حاكما عسكريا عربيا (كان علي رضا غائبا وهو الشخص الذي أريد تعيينه حاكما) وعـن حلّ الادارة المدنية المؤقتة لهؤلاء الجزائريين • صعـُب ذلك الامر عليهمـا وأضطررنا ان نصرفهما الى أهلهما • في ذلك المساء استدعي عبدالقادر أصدقاءه وبعض الدروز البارزين وألقي فيهم خطبة مؤثرة معلنا ان شـريف مكة ما هو إلا ألعوبة بيد الانكليز ودعاهم الى توجيه ضربة الى نظامه في دمشـق • وفي الصباح أنهارت هذه الدعوة ولم يبق منها غير أعمال النهب والسلب فقمنا بأستدعاء القوات العربية ونصبنا بعض الرشاشات حول الساحة المركزية في المدينة وأستطعنا أن نفرض حالة الامان خلال ثلاث ساعات بعد أن أصبنا حوالي عشرين رجلا •

لعب الدروز دورا دنيئا معنا • لم نكن نتوقع منهم أن ينضموا الى قوات الشريف لذا أستثنيناهم من حسابات قواتنا • وبعد أنتصـار البريطانيين في فلسطين صاروا يظنون أنهـم ربما لم ينحازوا الى الطـرف المناسب ، لذلك عندما تقدمنا الى درعا للمرة الثانية تجمعوا حول سلطان الاطرش وحسين أبو نايف ، وهما صديقانا المعتمدان في جبل الدروز • وهم يتصايحون بالخدمة العسكرية • صدق سلطان ادعائاتهم وسار بألف وخمسمائة خيال منهم الى الغزالة لينضم الى صفوفنا • إلا أنهم بقوا متسترين وراء خيالتنا ولم يشتبكوا بأية معركة وأنتظروا حتى أخذنا دمشق • وآنذاك أستعرضوا قواتهم أمـام الشريف ثم بدأوا بعدها بنهب السكان • وبعد أن أوقفتهم القوات العربية عند حدهم وأخرجتهم من المدينـة الى جارمان جاءوا اليّ وقالوا أن مشاعرهم الحقيقية هي مع الانكليز• لم يكن من السهل تصديق ذلك فهم كانوا الوحيدين الذين تطوعوا للقتال ضد مصر سنة ١٩١٤ لذلك لم أبدِ لهـم ما يرضيهم • انهم قوم طماعون أدعياء لا يلبثوا أن يخنعوا اذا ما جوبهوا بالقوة •

تي • أي • أل

٢٠ الى الميجر آر. أج. سكوت

١٤/١٠/١٩١٨

فندق كراند كونتننتال
القاهرة

عزيزي سكوت

شكرا جزيلا على برقيتك . دخلنا دمشق كما كنا نأمل وكان عليّ هناك أن أفارق العرب ــ من المؤسف أن أذهب عنهم كما أن بقائي معهم لم يكن من الحكمة في شيء ، وأشعر كمن ألقى عن عاتقه حملا كبيرا ــ إن ظهري ليؤلمني عندما أحاول أن أمشي منتصبا .

أنني راحل . بعيدا عن مصر . وهذه الحرب على وشك أن تنتهي ، ولم تعد هناك فائدة مني . أخشى أنك ستتأخر هناك طويلا لتنظيف كل ما تركناه وراءنا من مشاكل وحاجات .

تركت ورائي في العقبة شيئا واحدا أعتز به ، وهي بندقيتي الانكليزية المنقوشة . فأرجو منك ان تعمل على ايصالها الى القاهرة سالمة . تحياتي الى جميع الزملاء وشكرا جزيلا لهم ولك . لقد كنا حقا عصبة غريبة الشكل وأحسب اننا قد غيرنا تاريخ الشرق الادنى . ولا أدري كيف سيكون موقف القوى الكبرى من العرب .

المخلص
لورنس

[ادناه وصف كتبه لورنس لتلك البندقية عندما قدمها هدية للملك جورج الخامس ، وهو الآن معروض مع تلك البندقية في المتحف الامبراطوري الحربي] .

« هذه البندقية قصيرة نوع لي أنفيلد غنمها الاتراك في معركة غاليبولي وأرسلت الى القسطنطينية كجائزة • وقامت الحكومة التركية بنقش العبارة التالية على البندقية بحروف من ذهب باللغة التركية (غنيمة من معركة جناق قلعة) ثم قدم أنور باشا هذه البندقية هدية الى الامير فيصل (وكان آنذاك من الرعايا الاتراك وضيفا على جمال باشا في دمشق) • ونقش على البندقية عند ماسكة الحربة ما يلي باللغة التركية « هدية أنور باشا الى الأمير فيصل » أرسل فيصل هذه البندقية الى مكة • تحالف العرب بعدئذ مع البريطانيين وأكتشف فيصل أن الذخيرة التي يجهز بها جيشه تناسب بندقية أنور • لذلك صار يحملها معه منذ شهر حزيران / يونيه حتى شهر كانون الاول /١٩١٦ عندما أعطاها الى الكولونيل لورنس قرب المدينة • حمل الكولونيل لورنس هذه البندقية حتى تشرين الاول /أكتوبر ١٩١٨ عندما تم الاستيلاء على دمشق • ان البروز الكبير قرب مخزن البندقية يمثل ضابطا تركيا » •

أهديت بندقية مماثلة من الحكومة التركية الى الامير عبدالله شقيق فيصل ، (إلا أنها خالية من نقش أنور) وهي الآن بحوزة رونالد ستورس •

مقدمة القسم الثاني

(بقلم محرر الكتاب)

« لا أدري كيف سيكون موقف القوى الكبرى من العرب » تكشف العبارة المذكورة أعلاه ، وهي آخر سطر من رسالة لورنس الى الميجر سكوت ، عن الامور التي ستشغل بال لورنس وجهوده خلال السنوات الثلاث التي تلت ذلك . فقد كان دائما يستبق الامور وعاد الى انكلترا قبل الهدنة لأنه كان بدأ في التحضير لمؤتمر السلام . وخلال هذه السنوات الثلاث أنصرف لورنس الى الدفاع عن قضية استقلال العرب ، في مؤتمر فرساي وفي داونتك ستريت وفي القاهرة ، ليجد ذلك العمل أشق على نفسه بدنيا وفكريا وروحيا من جميع الصعوبات والمخاطر التي تعرض لها خلال الحملة العربية . (ويواصل المحرر تعليقاته عن أسباب التغيرات التي طرأت على شخصية لورنس خلال تلك الفترة . المترجم) .

هناك سببان يمكن ان يعزى اليهما ما أصاب لورنس من تغير . أولهما بدني بسيط وهو تعرضه لحادث تحطم طائرة ادى الى كسر في أضلاعه وإصابة احدى رئتيه الامر الذي صار يشكو منه طيلة بقية حياته . أما السبب الثاني والاهم فهو خيبة الامل ومرارة الاندحار التي تنجت عن مؤتمر السلام. كانت لدى لورنس الثقة المطلقة بأن الرئيس ولسن سوف يضمن للشعب العربي حق تقرير المصير عند حضوره مؤتمر السلام . إلا انه أدرك انه كان على وهم عند عودته من المؤتمر .

[حاول لورنس ان يعبر عن مشاعره هذه في مقدمة كتابه الشهير «أعمدة الحكمة السبعة » نسخة اوكسفورد ـ كما يظهر من الفقرات التالية المقتبسة منها : ـ

« ... عشنا حياتنا مرات عديدة في خضم هذه المعارك الخاطفة ، لا نوفر على أنفسنا خيراً أو شر ، وعندما حققنا ما نريد وأطل فجر العالم الجديد ظهر الشيوخ مرة آخرى وسلبو منا نصرنا ، وجعلوا منه صورة للعالم القديم الذي يعرفونه . قد يستطيع الشباب ان ينتصر إلا انه لم يتعلم كيف يحتفظ بنصره ، وظهر تجاه الزمن ضعيفا بشكل يثير الشفقة . توسلنا باننا سعينا نحو سماء جديدةوأرض جديدةفشكرونا على ذلكوأنصرفوا يصنعون سلامهم الخاص . لاشك أننا اذا وصلنا أعمارهم فسوف نعامل أولادنا كما يفعلون بنا .

ذلك اذاً الحلم الباهت عن الايام التي قضيتها بين غبار وضجيج الاسواق الشرقية ، وأستطعت بفكري وبدني ، وتفكيري المتواصل أن أن أجعل الآخرين يحققون أحلامي. إن الذين يحلمون بالليل من الاعماق الضبابية لعقولهم يصحون نهاراً ليجدوا أن ذلك كان هباءاً . أما الذين يحلمون في يقظتهم فهؤلاء الرجال الخطرون الذين قد يستطيعون ان يحققوا أحلامهم في حياتهم . وهذا ما فعلته . قصدت أن أصنع أمة جديدة ، وأن أستعيد الى العالم نفوذاً مفقوداً ، وان أمنح عشرين مليوناً

من الســامين أساســاً يبنون فوقــه ما يستوحونه من قصور الأحلام لافكارهم القومية . أن مثل هذه الآمــال العظيمة تستدعي إحيــاء النبل الموروث في عقولهــم ، ودعوتهــم لأن يلعبــوا دوراً كبــيراً في الاحداث . غير أننا عندما كسبنا المعركــة أتهموني بأنني جعلت الامتيازات البريطانية في نفط العــراق في وضع مشكوك فيه وتسببت في تخريب السياسة الاستعمارية الفرنسية في الشرق .

أخشى أنني فعلا أرجو ان يتحقق ذلــك . أننــا في سبيل هذه الامور ندفع ثمناً غالياً من دمائنا وشرفنا. لقد ذهبت الى حوض دجلة بصحبة مائة من جنودنا ، شباب نظيفون بهيجون ملؤهم الطاقة والسعادة والقدرة على إسعاد النساء والأطفال . جعلونا نحس تماماً كم يسعد المرء أن يكــون قريبــاً من هؤلاء الشــبان ، وأنكليزياً مثلهم . إلا أننا نرميهم في أتــون الحرب بالآلاف الى شر منية، لا لنربح الحرب بل لكي نستولي على ما في أرض الرافدين من القمح والرز والنفط. كان كل ما نحتاجه هو أن نهزم أعدائنا (ومن بينهم تركيا) وتحقق لنا ذلك بخسارة أقل من أربعمائــة قتيل من جنودنا وعــن طريق جعل الاقوام الذين أضطهدهم الاتراك يخدمون اغراضنا ، وكان ذلك بفضل حكمة الجنرال ألنبي . أنني لأفتخر بأنني في المعارك الثلاثين التي خضت غمارها لــم أرق دم أحد من رجالنا . إن جميــع البلاد الخاضعة للامبراطوريــة لا تساوي في نظري حياة صبي انكليزي واحد ... »

لقد ظهر أن أي أمل في تحقيق مثل هذه الانجازات قد أندحر أمام معاهدة سلام وضعت على أسس من حق تقرير المصير لكل الشعوب • غير أنه ليس من طبع لورنس ان يعترف بالهزيمة ، وبعد ما وصفه هو « صراع في أروقة داونتك ستريت » أستمر لثلاث سنوات نجح في تأسيس مملكتين عربيتين ثم خلد الى الراحة وهو يشعر أنه قد خرج نظيف اليدين من مغامرته العربية •]

(المحرر)

[كتب لورنس التقرير التالي لأغراض اطلاع الوزارة البريطانية عند عودته الى انكلترا • وقد أستطعت أستنساخه ونشره في هذا الكتاب رغم أنه يعتبر وثيقة سرية • ويتمكن القارىء الذي يود الاطلاع على الاتفاقيات التي أبرمت مع العرب ومع الفرنسيين أن يراجع رسالة لورنس الى محرر جريدة التايمس (رسالة رقم ٢٣) •]

٢١ـ اعادة تكوين بلاد العرب

١٩١٨/١١/٤

إن رغبة آخر جيل من رجال السياسة البريطانيين في أن نسحب من مواقعنا الامبريالية في الشرق الاوسط (كما عبروا عنها بوسائل كثيرة الى جانب ماجاء في أتفاقيات خط سكة حديد بغداد والمفاوضات بشأن الاسكندرونة عام ١٩١٥) قد جعلت من المرغوب فيه أن نجد طرقا غير مباشرة للمحافظة على منطقة نفوذنا المتفق عليها بموجب مبدأ مونرو• وهي تلك المساحة المربعة من الارض ما بين مصر والاسكندرونة وبلاد فارس والمحيط الهندي • وعندما أشتعلت نار الحرب أضيفت لتلك المصالح حاجة ملحة في تقسيم الامة الاسلامية وحملنا أنفسنا على البحث عن حلفاء بدلا من تابعين بين أهل المنطقة• لذلك استثمرنا التذمر الذي يشعر به السكان الناطقون بالعربية تجاه حكامهم

الغرباء عنهم • والميل الذي كان يظهره الرعايا الشرقيون والذي أخذ يتضح يوما بعد يوم للمطالبة بنصيب متزايد من مشاكل الحكم • فسعينا الى خلق نطاق من الدول التابعة التي تصر هي نفسها على حمايتنا لها لغرض الوقوف بوجه أية قوة غريبة تحاول أنجاح خططها في أرض الانهر الثلاث • إن العقبة الكبرى أمام أية حركة عربية من الوجهة الحربية انما هي نعمة كبرى لنا وقت السلم ــ تلك هــي فقدان روح التضــامن بين مختلف الحركات السياسية العربيــة • ان مشكلة التنافس بين الزعماء في كل من سوريا وبلاد الرافدين والجزيرة العربية ومصــر جعلت من العســير علينا أن نعرف الجهة التي نبدأ التعامل معها • كانت هنالك محاولات فاشلة للتعاون مع السيد طالب (النقيب) ومع عزيز المصــري قبل أن يستقر أمرنا على أن نركز على التعاون مع شريف مكة • تم أنتخاب شريف مكة في نهاية الامر بسبب الانشقاق الذي يستطيع أن يحدثه في الامة الاسلامية ولأن موقعه الجغرافي يمنحه فرصة كبيرة في البقاء ولأن منزلته الكبيرة بين العرب تعتمد على المكانة العائلية وهي أعتبار لا يمكن التعرض له رغم كونه أعتباطيا وأستبداديا •

بدأت المفاوضــات بين الشريف والسير هنري مكماهون الذي خولته الحكومة البريطانية ان يعقد مع الشريف أتفاقا يضعه في جانبنا • ولسوء الحظ لم يكن السير هنري مطلعا على أتفاقية سايكس بيكو التي كانت آنذاك موضع الاختبار • ولم يخطر للشريف أننا كنا نريده أن يكون مجرد رئيس صوري ، فقد كان في جميع مراسلاته يتكلم بصفته الوصي على أمر العرب ــ يقصد بذلك كل من يتكلم اللغة العربية ممن هم تحت الحكم التركي •

لم يحالفه الحظ في جولتــه الاولى في الثورة على الاتراك ولم تتحسن فرصته في النجاح عندما تم أستبدال السير هنري مكماهون بالسير ارجيبالد موري ومستشاريه كل من السير ريجنالد ونگت والكولونيل بريموند • ومع ذلك تمكن في نهاية الامر أن يضم الى صفوفه جميــع بلاد العرب اعتبارا من

مكة وشمالا حتـى أحتلال العقبـة من قبل فيصل في آب/أغسطس ١٩١٧ ، عندما وصلت العمليات العسكرية الشريفية الى ختامها •

تولى الآن فيصل عن والده (الذي شـاخ بسرعة) مهمـة تحرير البلاد السورية • كانت منزلتـه التي مكنته من تحقيق ذلـك هي كونه أحد زعماء الجمعية الثورية السورية • كان فيصل قد بقي على صلة مستمرة في سوريا غير المحررة ، يعاملهم كزملاء • وشكل فيصل جيشا من السوريين والعراقيين لتنفيذ عملياته وأعاد الى الحجاز جميع جنوده سكان الجزيرة العربية • ويجدر بي أذكر ان عدد الحجازيين الذي أشتركوا في الدخول الى دمشق كان ثمانية فقط •

لم يكن بمستطاع فيصل أن يستقل بعملياته العسكرية ، فجعل من نفسه تابعا للجنرال آلنبي وقائدا عاما حليفـا لـه • وأتمنى لو أننا عندما سنقتسم الغنائم لن نهبط الى مستوى التعامل التجاري في تحديد حصص الشركاء من القطعات البريطانية أو الفرنسية او الهندية أو العربية او اليهودية او الارمنية • إن التحالف مع العرب مكن القائد العام البريطاني أن يزج بقطعات الخيالة في مطاردة الاتراك من يافا الى حلب في أراض معادية لنا أسما إلا أنها في حقيقة الامر موالية لنا • قامت هـذه القطعات بعمليـة المطاردة دون تأمين خطوط مواصلاتها أو أتخاذ تدابير الحيطة والحذر الاعتيادية ، كل ذلك بفضل تحالفنا مع العرب • لذلك غير الجنرال آلنبي السياسـة القديمة تجاه العرب وصار يساعدهم بكل ما يستطيع من المادة والرجـال والرأي • فله يعود الفضل في تقدمهم السريع •

أنتهت الآن المهمة العسكرية للعائلة الحاكمة في مكة • ولا يستطيع أحد ان يتشكك في شجاعة الملك حسـين الذي أنضـم الى صفوفنا بعيد سقوط مدينة الكوت ، رغم نصيحة فيصل بأن لا يفعل ، ورغم ما شاهده بنفسه من المصير الذي أحاق بأصدقائنا الصغار الآخرين • كما أن من السهل إدراك مقدار

المحنة الاخلاقية التي ابتليت بها أقدم العوائل العربية وأقواها وأكثرها قدسية (بين أناس يقدسون أكثر من غيرهم قيم المعتقد وأصالة النسب) عندما لجأت الى التخلي عن الاصدقاء والمخلصين الذين لازموهم طيلة حياتهم والى ان تكون عرضة لشتائم لا حد لها من مسلمي الهند وتركيا وأفغانستان ومصر ، بسبب دفاعهم عن حريتهم القومية. ويجب أن يسجل للامراء الاربعة ماتعرضوا له من أخطار ومعاناة أثناء المعارك الصعبة التي خاضوها في السنوات ١٩١٦ و ١٩١٧ و ١٩١٨ . أن الاخلاص الذي أبداه الملك واولاده لحلفائهم ولما تعهدوا لهم به يجب ان يكون مثالا ساطعا عن ماهية القوة التي أقنعتهم بأعلان الثورة في الوقت الذي كانت مستعدة لأن تسلمه للاتراك مقابل شروط بخسة[٦] ، وهو لا يدري بذلك ، وتسلم معه جميع الناس الذين وقف مدافعا عنهم ، وهم الذين رفضوا عروضا متكررة من الاتراك بمنحهم الحكم الذاتي في الجزيرة العربية مرة ، ومرة اخرى الاستقلال للجزيرة والحكم الذاتي لسوريا ومرة ثالثة سلطة الخلافة والاستقلال في الجزيرة والحكم الذاتي لجميع بلاد العرب الآخرى .

النوايا الحالية للحكومة العربية

(أ) ينوي الرجل العجوز في مكة أن يكون الزعيم بلا منازع في بلاد العرب ، ويقصد بذلك أرض شبه الجزيرة . ولو كان لديه ما يكفي من الصبر لأصبح كما يريد تدريجيا بفعل عامل الزمن ومناسك الحج . غير أنه لما كان يتميز بالحماقة فمن الافضل لو صاحبه أحد أبناءه في مكة في القريب العاجل . اما في اليمن فليس للشريف مقاصد محدودة وواضحة . وقد جرت أتصالات بينه وبين أبن رشيد وأهل الكويت . اما في نجد فليس من العسير أيجاد حل للموقف الناتج عن الخلاف غير المباشر بين سلطات الهند والسلطات البريطانية في مصر حول أبن سعود والادريسي. لقد حاول الادريسي ان يطعم العقيدة المثالية لبلاد العرب بعناصر من

الطقوس البدائية الافريقية إلا أنه فشل في ذلك ، ويمكن أعتبار قضية أختفائه عن مسرح الاحداث مسألة بضع سنوات من الزمن • أما ابن سعود فهو يحاول الآن ان يحد من قوة النهضـــة الدينية المتزمتة التي أخذت تصبح أقــوى مما يتحمل • فاذا أنســاق معها وهاجم الاماكن المقدسة فسيتكفل المسلمون الراشدون بأمره كما تكفلوا أسلافه • أما إذا تمكن من السيطرة على هــذه الحركة فسيبقى أميرا لنجد بعد أن يكون الفشل في عملياته العسكرية قد أنذره بأن يعترف بشريف مكة كزعيم له ــ اعتقد أن ابن سعود يحمل لنا شعورا بالصداقة وبأنه الوحيد الذي يقف هذا الموقف في سلطنته •

أود أن أشير الى أن خبرة السنوات الاربع الماضية قد بينت عدم صواب فكرة أن تترك بلاد العــرب تحت سيطرة واحــدة أو أكثر من السلطات الحاكمة حاليا في القاهرة أو بغداد أو دمشق أو سملا (الهند) • لقد كانت نظرتنا للامور قصيرة الأمد أن لم تكن ضيقة الأفق •

(ب) تعتبر الحركة العربية في سوريا مهمة في الحقيقة لأن الاصــل فيها أن نمنع سيطرة أية قوة في القارة الاوربية من السيطرة على قوتها البشرية أو الفوائد الستراتيجية لذلك البلد • ولهذا الغرض بالذات فإن العرب يحتاجون الى الحصول على حقوق مساوية لحقوق أية قوة اخرى في كل من خليج الاسكندرونة والخط الساحلي من الاسكندرونة الى طرابلس وفي ميناء طرابلس والخط الحديدي بينها وبين حمص وفي منطقة البقاع من حمص حتى بحيرة الحولــة ، وأن يكون لهم منفذ الى ميناء حيفا وجميع الارض شرق هذا الخط ونهر الاردن • وفضلا عن ذلك ينبغي ان يكون فيصل متمتعا بالسيادة ضمن منطقته وأن يكون لديه مطلق الحرية في أختيار ما يشاء من المستشارين الاجانب ومن أي بلد يرتأيه • ويجب ان يكون هؤلاء المستشارون جزءاً من الحكومة العربية يستمدون

صلاحياتهم التنفيذية منها وليس من حكوماتهم . وقد يكون من الممكن أن يضمن أعتراف العرب بالديون التركية مقابل نصيب عادل في الواردات الكمركية لكل من مينائي بيروت وحيفا . وأخيرا فأن فيصل لن يعتبر نفسه ملزما بأية أتفاقية لم يكن هو طرفا فيها .

(جـ) وفي فلسطين يأمل العرب أن يبقى البريطانيون مسيطرون على المناطق التي أحتلوها . أنهم لن يوافقوا على أي أستقلال يهودي لفلسطين لكنهم سيوافقون جهد أمكانهم على ما يمكن من التسرب اليهودي اليها . على أن يتم ذلك وراء واجهة بريطانية وليس وراء واجهة عالمية . واذا ماجرت أية محاولــة لتنفيذ عمليــة السيطرة العالميــة التي أقترحت في اتفاقية سايكس ــ بيكو فإن فيصــل سيطالب بألحاح بحــق تقرير المصــير للفلسطينيين ويقدم التأييــد المعنوي لفلاحــي فلسطين ويقاوم عملية مصادرة املاكهم .

(د) وفي العراق ينتظر العرب أن يحافظ البريطانيون على سيطرتهم هناك . ويأمل الشريف ان تكون في العراق إدارة عربيــة اسمية ، استنادا الى ما أتفق عليه معنا .

(هـ) أما في منطقة الجزيرة فهناك جماعات نشيطة من القوميين العرب إلا أنهم في منطقة ذات موقع جغرافي غير ملائم ، إلا اذا تم اقناع قسم من الاكراد الرحل والمستوطنين بالتعاون مع الحكومة المحليــة التي يراد تكوينها هناك .

أود ان أقترح بأن تبقى المنطقتان (د) و (هـ) منفصلتان الواحدة عن الاخرى ، على الاقل من الناحية الادارية . ان مشاكل العــراق تتعلق بتنفيذ المشاريع العمرانية الكبرى والزراعية المتطورة . بينما تتعلق مشاكل الجزيرة بوجود الكثير من القرويين الجبليين المشاغبين والقبائل نصف المتوطنة .

يحتمل أن تظهر القضية الكردية بشكل أكبر كثيرا وأصعب مما ظهرت عليه القضية الارمنية •

اذا ما سمح لممثلي الامم الصغيرة بحضور مؤتمر السلام فيحتمل ان ترتفع الاصوات مطالبة بحق تقرير المصير وسينظر بأرتياب شديد الى الاتفاقات شبه السرية التي أبرمت سابقا بين القوى الكبرى • ولهذا السبب أقترح عدم اصدار أية نسخة ثانية من معاهدة سايكس بيكو • أن التفاصيل الجغرافية غير المعقولة لهذه الاتفاقية ستكون مثار السخرية ويكون آنذاك من الأولى بنا أن نوفر على أنفسنا المزيد من الجهود في هذا الباب • واذا لم نفعل ذلك فعلينا على الاقل ان نعترف بكون العرب أحد أطراف النزاع بصورة رسمية وأن نعتبرهم طرفا في أي قرار يتخذ بشأن المنطقة التي أحتلوها بأنفسهم •

الكولونيل تي • أي • لورنس

[ألحق لورنس تقريره أعلاه بمقترحات محددة تبينها البرقية التالية التي صدرت من وزير الدولة لشؤون الهند ، السيد أدوين مونيكيو]

برقية ، من وزير الدولة لشؤون الهند الى وزارة الخارجية ودلهي ، مكرر بغداد

[مؤرخة ١٨/١١ ، أستلمت ١٩/١١/١٩١٨]

وزير الخارجية • قدم الكولونيل لورنس ، الذي عاد الى الوطن الآن من سوريا في أجازة ، مقترحات الى حكومة صاحب الجلالة حول حل شامل للقضية العربية • إنه يدعو لتشكيل ثلاث حكومات لدول عربية خارج الحجاز وتوابعه وهي (١) بلاد الرافدين السفلى (٢) بلاد الرافدين العليا (٣) سوريا ، توضع كل واحدة تحت حكم كل من عبدالله وزيد وفيصل اولاد الملك حسين• يبقى حسين حاليا كملك للحجاز ليحل بعدئذ أبنه الاكبر علي مكانه ولن يتمتع بأية سلطة دنيويه في هذه الدول الثلاث المذكورة اعلاه • ولن يكون له في الحقيقة أي مقام سوى ذكر أسمه في صلاة الجمعة كأميرٍ للمؤمنين •

يقترح لورنس أن يمر خط الحدود بين بلاد الرافدين العليا والسفلى من ملتقى نهري دجلة والزاب الاعلى حتى مدينــة عانه على الفرات • ومن عانه يسير خط الحدود مع نهر الفرات حتى بيرة جك ليشكل الحدود الغربية لدولة بلاد الرافدين العليا أما حدودها الشمالية فتمر من أورفة الى ديار بكر حتى دجلة وتكون عاصمتها مدينة الموصل أو راس العين • من المفهوم بطبيعة الحال ان الدولتين (الشماليتين) ستكونان خاضعتين للنفوذ البريطاني وتكون دولة الرافدين السفلى تحت السيطرة الفعلية البريطانية •

أنني أدرك أن هذه المقترحات التي تتضمن فصل الموصل فعليا عن بغداد تتعارض مع التوصيات التي وردت في برقية بغداد رقم ٨٧٤٥ ، ومع ذلك فإن الحدود بين الدول المقترحة لا تبدو متعارضة مع تلك التي أقترحت في برقية بغداد رقم ٨٧٤٤ ، كما أن المجيء بعبدالله الى بلاد الرافدين سيكون معارضة مباشرة لـ (•••••) [لم يذكر الاسم • لكنه ربما يقصد أبن سعود] • إلا أنني سأكون مسرورا لو أعدتم النظر في القضيــة كلها على ضــوء الظروف السائدة وأن تعلموني بآرائكم في مقترحات لورنس بأسرع ما يمكن •

[أستمد الحقائق التالية من كتاب ليدل هارت « لورنس ، في بلاد العرب وما بعد ذلك » (المحرر) : ــ

هبط بيكو يوم السادس من تشرين الثاني / نوفمبر في بيروت بصفته المندوب السامي الفرنسي في سوريا وأرمينيا • وفي اليوم الرابع عشر أبرق الى باريس بما يلي :ــ « طالما بقيت القوات البريطانية تحتل البلاد فلن تكون هناك ثقة في مشاعر السكان ، مفضلين أولئك الذين يخاصموننا • إن العلاج الوحيد هو في أرسال عشرين ألف جندي الى سوريا والطلب من البريطانيين تسليم البلاد الينا » •

دعي فيصل لزيارة لندن من قبل الحكومة البريطانية • سافر على متن بارجة بريطانيــة وكان لورنس في أستقباله في مارسيليا • واعترض رحلتهم

عبر فرنسا ظهور بريموند في مدينة ليون في ٢٨ تشرين الثاني/نوفمبر • أكتشف لورنس أثناء العشاء ان بعض ممثلي الحكومة الفرنسية كانوا في طريقهم الى لندن للتباحث في بعض الشؤون السورية في غيابه فغادر في تلك الليلة الى لندن وعبر القنال على نفس الباخرة التي يعبر عليها الفرنسيون دون أن يشعروا به • وفي التاسع من كانون الاول / ديسمبر استقبل لورنس فيصلا على سلم الباخرة التي أخذته الى انكلترا • بعد أن كان الفرنسيون قد أخذوه في جولة في ميدان المعارك لكي يبقوه بعيدا عن طريقهم •]

(المحرر)

٢٢ ـ من يوميات مؤتمر الصلح

[فيما يلي الصفحات الاولى من يوميات مؤتمر الصلح التي لم يواصل لورنس كتابتها لسوء الحظ • ان معظم أعمال لورنس في هذه الفترة كانت تتم بمقابلات شخصية فلم اتمكن من العثور على الكثير من المواد الوثائقية]

كانون الثاني /يناير ١٩١٩

أبتدأت التسلية عندما ذهب [••••] الى باريس وبصحبته سبعون سيدة من الكاتبات على الآلة الطابعة وطبيب يعمل أخصائيا في التوليد في شارع هارلي واخذهم الى قصر ماجستيك • وقد تعجب الجميع كيف أدرك فلان أن المؤتمر سيستغرق تسعة أشهر •

كانت قضية تعيين الوفود مسألة دقيقة • خصص للبرازيل ثلاثة أعضاء لأن فيها مصالح عديدة للألمان ، وسعى المشرفون على المؤتمر عن طريق اشراكها بصورة كاملة فيه الى أغرائها باتخاذ أجراءات شديدة هناك • ان ذلك ليبدو غير جدير بما تدعيه المبادىء الاميركية •

أبدى البرتغاليون عدم رضائهم التام • فذهب الفرنسيون الى وزيرهم وعبروا له عن أسفهم عن عدم ملاءمة حجم الوفد البرتغالي بسبب تشدد

الانكليز • فجاءنا البرتغاليون غاضبين اكثر مما هم متألمين وقدموا أحتجاجهم • فلجأ السير أير كراو الى أقتطاع مقتبسات من المحاضر الرسمية للمناقشات وارسالها لهم بصورة سرية ليعلموا أن الاعتراض على العضو الزائد في الوفد البرتغالي قد جاء من الفرنسيين •

نسي المستر بلفور كليا إحضار ممثلي الحجاز في الجلسة الاولى • فأقنعت كلاً من مالت وتيرل وسيسيل بالاحتجاج على ذلك ثم ذهبت لأقابل أريك دراموند وعبرت عن موقفي بقوة • حاول أول الأمر ان يقنعني بأننا لسنا مؤهلين لذلك غير أنه عاد بعدئذ وتعهد بأن يبذل جهده • تعشيت مع المستر بلفور وحصلت على وعد منه بأن يفعل نفس الشيء وزودته بكل مايمكن من المعلومات • وحاول فيليب كير نفس الشيء مع لويد جورج بناء على نصيحة ليونل كرتس ، بينما أخبرت فيصل بان ليس هنالك من تحيز ضد قضيته وكل ما في الامر أن المسألة تأجلت ليوم واحد ريثما يتم إعداد الوثائق اللازمة •

وفي اليوم التالي طرح بلفور قضية الحجاز فأحتج بيشون على ذلك • قبل كليمنصو حضور مندوب واحد إلا ان بيشون عاد يحتج بأن ليس بالامكان قبول مندوب آخر لأن العرب مازالوا أمة لم تولد بعد ولم يصبحوا دولة مستقلة بعد • ورد كل من بلفور ولويد جورج بشدة مصرحين بأن بريطانيا وفرنسا قد أعترفتا بأستقلالهم • وبناء على ذلك قبل موضوع حضور مندوبين عن الحجاز •

وفي هذه الاثناء قام جان گو (وهو أحد الفرنسيين الذين يدعون بشدة الى الاستعمار الفرنسي لسوريا) بزيارة فيصل ليقول له ان تجاهله كان مقصودا وأن الانكليز يضحكون عليه • كما قال له أن فرنسا دولة قوية وان من الافضل لفيصل أن لا يصغي الى دعاة الشر في بلاد الرافدين وسوريا الذين يعملون ضد مصلحة فرنسا • فهؤلاء لا يعترفون بوجود جيش عربي في سوريا وأن النبي يكذب اذا ما أدعى خلاف ذلك • أدرك فيصل بذلك أن مسألة

حضوره المؤتمر كانت موضع جدال فقضى ليلة تعيسة بسبب ذلك فلقد وجدته يتجول في أرجاء الفندق في الساعة الثانية صباحا . وعندما كسبنا المسألة أعتبر ذلك بشرى حسنة عن جميع المعارك القادمة وأمتلاء سرورا . وفي الجلسة الاولى أستمتع فيصل عندما طرح كليمنصو على المؤتمر ، بصفته رئيسا مؤقتا للمؤتمر مسألة تثبيته في مركزه هذا فصوت فيصل مع بقية المؤتمرين الى جانب الاقتراح . وصرح لويد جورج وهو يناصر المقترح أنه شخصيا كان مايزال صبيا في المدرسة عندما كان كليمنصو يحتل وظيفة في الدولة .

وتسير بنجاح الدعوة التي تستهدف حمل أميركا على التعاون في أمور الشرق من أجل ضمان تطبيق المثل التي تدعو اليها ، وقد تغلب حماس كبلنك على دبلدي تلك الليلة في انكلترا . ونشر أليس مقالته السادسة في جريدة نيويورك هيرالد تدعو كلها الى ذلك الاتجاه . وقد ناصرته المسز إيكن وكذلك فعل ماكلور . أريد أن أخيف أميركا من حجم تلك المسؤولية ، ثم أقنعها بأن تكلفنا بتولي ذلك نيابة عنها . لقد ملّ الامريكيون من فرنسا ، فأن « ذكريات الامبراطورية الثانية » تعتبر في نظرهم أمرا مبتذلا . ووجه ولسن سؤالا الى وايزمان عن علاقته مع البريطانيين فأجابه بأنه يستحسن تلك العلاقة الى درجة انه طلب منهم ان يتولوا أمر الوصاية على مصالحه . ثم سأله كذلك عن علاقته بالفرنسيين فأجاب أنه يتقن اللغة الفرنسية إلا أنه لم يستطع ان يفهم الساسة الفرنسيين ولا أن يجعلهم يفهمونه . فرد عليه ولسن بأن ذلك « هو نفس ما وجده تماما » .

[ملاحظات عن حديث تم بين الكولونيل هاوس والامير فيصل في أوتيل دي كريون في ٢٩ آذار/مارس في السادسة مساء وكان الكولونيل لورنس يقوم بالترجمة] .

قال الأمير فيصل أنه جاء يطلب الأذن من الكولونيل هاوس لأنه سيعود الى سوريا بعد بضعة أيام ، وسأل الكولونيل هاوس عن رأي الامير فيصل في خطة إرسال لجنة الى سوريا(٧) .

أجاب الامير فيصل ان تلك الفكرة أحسن ما سمعه في حياته . وقال ان قومه قد أرسلوه ليطلع على مختلف الامم الاوربية ويختار من بينها الاكثر صلاحا لتولى أمر الانتداب ، وأنه قد أعجب كثيرا بالانكليز ، وبعد ذلك تعرف على الاميركان ويود أن يعلم فيما كانت الولايات المتحدة ستقبل بفكرة تولي الانتداب على سوريا لأنه يجد أختلافا بين بريطانيا العظمى وفرنسا حول الموضوع .

قال الكولونيل هاوس أنه يشك تماما فيما أذا كانت الولايات المتحدة ستقبل بتولي أمر الانتداب . قال الامير فيصل ان العرب يفضلون الموت على أن يقبلوا بالانتداب الفرنسي .

وبين الكولونيل لورنس ان لو قبل البريطانيون بتولي أمر الانتداب على سوريا فسيتهمهم الفرنسيون بالنفاق .

وسأل الامير فيصل الكولونيل هاوس عن موقف الولايات المتحدة تجاه أرمينيا فأجاب هاوس أن ذلك سؤال لا يستطيع الاجابة عليه .

وبين الكولونيل لورنس أن العرب في سوريا يرغبون بانتداب بريطاني بينما يرغب العرب في الولايات المتحدة بأنتداب اميركي وهو يأمل أن يستمال رئيس اللجنة لكونه أمريكيا بان يحبذ في تقريره فكرة الانتداب الاميركي على سوريا بعد أن يقتنع برغبات السكان . وأضاف أنه وجد معارضه شديدة في بعض الدوائر في باريس لفكرة أرسال لجنة جديدة .

[بعث لورنس في ١٩١٩/٩/٨ رسالة الى جريدة التايمس حذف رئيس تحرير الجريدة قسما منها . ونشر القسم الآتي في عدد يوم الخميس ٩/١١ ونشر مع الرسالة مقالا أفتتاحيا يكشف الى أي مدى من الجهل كانوا قد أبقوا الجمهور البريطاني فيما يخص ألتزاماتنا في الشرق الاوسط]

٢٣- الى رئيس تحرير التايمس

سيدي

أشار مؤخرا مراسلكم في سوريا عن الوعود البريطانية الى كل من العرب والفرنسيين • عندما كنت اعمل كواحد من هيئة موظفي الامير فيصل تمكنت من الاطلاع على الوثائق موضوعة البحث وبصفتي ربما الاوربي الوحيد الذي له الاطلاع على الموضوع أرى أن من المناسب أن أساعد في إلقاء الضوء عليها•
ان عدد هذه الوثائق أربع :

الوثيقة الاولى :-

تعهد بريطانيا الى الملك حسين ، تاريخه ٢٤ تشرين الاول /اوكتوبر ١٩١٥ • ينص التعهد - مشروطا بثورة العرب على تركيا - على الاعتراف « باستقلال العرب » في الارض الواقعة جنوب خط العرض ٣٧ درجة بأستثناء ولايتي بغداد والبصرة حيث تستدعي المصالح البريطانية أجراءات خاصة من السيطرة الادارية ، وكذلك بأستثناء المناطق التي لا تستطيع بريطانيا أن تتصرف فيها بدون الاضرار بالمصالح الفرنسية •

(ملاحظة : لم يطالب حسين بمركز شخصي ولا بأية حكومة أو حكومات معينة) •

الوثيقة الثانية :-

أتفاقية سايكس بيكو التي أبرمت بين انكلترا وفرنسا في أيار/مايو ١٩١٦ • تقسم هذه الاتفاقية الولايات العربية التي تحكمها تركيا الى خمس مناطق ، وهي على وجه التقريب :

(أ) فلسطين ، من نهر الاردن حتى ساحل البحر المتوسط • تكون منطقة « دولية » •

(ب) حيفا وأسفل وادي الرافدين من قرب تكريت وحتى الخليج • تكون منطقة « بريطانية » •

(ج) الساحل السوري من صور الى الاسكندرونة ومنطقة سيليسيا ومعظم أرمينيا الجنوبية من سيواس الى ديار بكر ، يكون منطقة « فرنسية » •

(د) المنطقة الداخليــة (تشمل ولايات حلب ودمشــق وأورفا ودير الزور والموصل) تكون دولة عربية مستقلة خاضعة الى نوعين من النفوذ :ــ

(أولا) المنطقة المحصورة بين الخط الواصل بين العقبه والكويت والخط الواصل بين حيفــا وتكريت ، لا يحق للفرنسيين ان يحصلوا على « نفوذ سياسي » فيها ، بل يحصل البريطانيين على أسبقية سياسية وأقتصادية ولهم الحق في تقديم (المستشارين الذين يرغب العرب بهم) •

(ثانيا) المنطقة المحصورة بين الخط الواصل بين حيفا وتكريت والحدود الجنوبية للمنطقة الفرنســية في أرمينيا أو كردستان ، لا يحــق لبريطانيا العظمى أن تحصل على (نفوذ سياسي) فيها • بل تحصل فرنسا على أسبقية سياســية واقتصــادية ولها الحــق في تقديم (المستشارين الذين يرغب العرب بهم) •

ملاحظة : ــ ان التقسيمات الجغرافية لهذه الاتفاقيــة لا تمت للواقع بصلة كما أنها تعتدي على علم الاقتصــاد عندما تنص على أن ليس بالامكان إكمال بناء سكة حديد بغداد حتى يتم بناء خط سكة حديد الفرات •

الوثيقة الثالثة :ــ

التصريح البريطاني لسبعة من رجال سوريا في القاهرة بتاريخ ١١/٦/ ١٩١٧ • يؤكد هذا التصريح لهــم ان الدول العربيــة الموجودة قبل الحرب والمناطق التي يحررها سكانها بالمعمليات الحربية أثناء الحرب ستكون مستقلة أستقلالا تاما •

(ملاحظة : ـ أن هذه التأكيدات باطلة وقد تتناقض مع الوثيقة الاولى أو الوثيقة الثانية إلا أنها صيغت محليا بواسطة ترتيبات بين آلنبي وفيصل تم بموجبها أن يقاتل الجيش العربي في ما يقرب من جميع المنطقة التي أعطيت الى العرب في الوثيقة الثانية) ..

الوثيقة الرابعة :ـ

التصريح الفرنسي ـ البريطاني المشترك في ١٩١٨/١١/٩ . ينص هذا التصريح على ان بريطانيا العظمى وفرنسا تتفقان على تشجيع الحكومات الوطنية في كل من سوريا وبلاد الرافدين وأن تضمنا بدون تلاعب ان تعمل مثل هذه الحكومات حسبما يريده الناس أنفسهم .

(ملاحظة : ـ كان تفسير الناس في الشرق لهذه الاقوال على أنها أستبدال الحكم المباشر البريطاني والفرنسي لكل من المنطقتين (ب) و (ج) في الوثيقة الثانية بمناطق نفوذ) .

(صيغت الوثيقة الاولى من قبل السير هنري مكماهون . وصيغت الوثيقتان الثانية والثالثة من قبل السير مارك سايكس . أما الوثيقة الرابعة فقد صاغها اللورد روبرت سيسيل . ان جميع هذه الوثائق قد صدرت تحت ضغط الحاجة العسكرية الملحة لدفع العرب الى القتال الى جانبنا) .

أنني لا أرى تنافر أو تناقض بين هذه الوثائق الاربعة ولا اعلم أحدا يرى فيهن ذلك .

قد يتساءل اذاً علام هذا الهرج والمرج بين الانكليز والفرنسين والعرب ؟ ان السبب الرئيس هو أن أتفاقية ١٩١٦ (الوثيقة الثانية) غير قابلة للتطبيق ، خاصة وانها لم تعد تتلاءم مع رغبات الحكومتين الفرنسية والبريطانية . ولما كانت هذه الوثيقة تعني مايشبه الميثاق للعرب تمنحهم دمشق وحمص وحما وحلب والموصل ليحكموها بأنفسهم مع ما يحتاجونه من مستشارين حسب رغبتهم فإن التعديلات الضرورية على هذه الاتفاقية ستكون مسألة دقيقة .

ومن الصعب جدا أن تنفذ بشكل مناسب من قبل انكلترا وفرنسا بدون مراعاة لرأي الطرف الثالث الذي وضعت من أجله وهم العرب .

تي . أي . لورنس

[تمكنت من تكوين نظـرة غير متحيزة عـن الموقف بمساعدة وثائق وضعها تحت تصرفي البروفسور وليم ييل من جامعـة نيوهامبشر الامريكية ، الذي كان عضوا في الوفد الامريكي لمفاوضات السلام (في مؤتمر الصلح) والذي لعب دورا مهما في محاولة التوصل الى حل للمشكلة ، إلا أن الحكومة الاميركية لسوء الحظ لم تقر ذلك .

كان عند ييل إطلاع واسع على الاحوال في سوريا وكان على صلة بأوساط الرأي الفرنسية وأدرك على ضوء ذلك أحتمـال ان يحدث في سوريا أنفجار مهلك من حوادث العنف نتيجة لوجود جيش عربي كبير منتصر ليس من المتوقع منه أن يخضع بخنوع الى قرارات تتخذ في فرساي . كان هناك أعتباران دفعاه الى أن يقرر عمل مايستطيعه لمساعدة القضية . أولهما ادراكه ان ليس بأمكان البريطانيين أو الفرنسيين او العرب التوصل الى حـل للقضية دون مساعدة طرف ثالث . فهم ، كما ذكر في تقريره ، أشبه بثلاث هررة ينفخ كل واحد منهم في وجه الآخر . لذا يجب أيجاد أرضية مشتركـة يمكن ان يلتقوا فيها وان الولايات المتحدة هي الوحيدة القادرة على جمع هؤلاء الثلاثة معا .

والاعتبار الثاني هو أنه لم يعد هناك وقت يمكن ضياعه حيث عقد كل من لويد جورج وكليمنصو أتفاقا في ١٣/٩ علق عليه ييل بما يلي : ـ

ان الاتفاقية التي أبرمت بين المسيو كليمنصو والسير لويد جورج والتي بموجبها تنسحب القوات البريطانيـة في ١/١١ من سيليسيا وسوريا وجبل لبنان لتحل محلها قوات فرنسية في سيليسيا وعلى امتداد الساحل السوري وقوات عربيـة في المدن الاربع دمشق وحمص وحما وحلب انما هي اتفاقية خبيثة للغاية .

« في ظاهر الامر لا تعتبر هذه العملية تحركا سياسيا ، بل مجرد تغيير في الموقف العسكري في أراضي العدو المحتلة » • أما في حقيقة الامر فهي ليست فقط تعرض للخطر المستقبل السياسي للبلدان العربية بل تشكل كذلك خطرا على السلم في الشرقين الادنى والاوسط •

ان تنفيذ هـذه الاتفاقيـة يعني تكريس السيطرة الفرنسـية عسكريا وأداريا على جميع مناطق الساحل السوري وجميع سوريا و «أرمينيا الصغرى» وتعني أيضا السيطرة المباشرة البريطانية عسكريا وأداريا على جميـع منطقة وادي الرافدين • وتعني كذلك ان سيترك للعرب أمر السيطرة على أربع مدن كبيرة هي دمشق وحمص وحما وحلب دون الاعتراف بهم كحكومة مستقلة بصورة مشروطة •

ان جميع الذين يعرفون الحقائق عـن كثب سواء أكانوا بريطانين او فرنسيين أو اميركان ، مقتنعون تماما بأن تنفيذ هذه الاتفاقية كما هي ، وبدون التوصل مسبقا الى حلول محددة للمشاكل المتعلقة بها ، سيؤدي الى حدوث اضطرابات محليـة خطيرة يتفق الجميع على أنها ستمتد الى كردستان وبلاد الرافدين وفلسطين ، وربما الى جميع العالم الاسلامي •

لن يقبل العرب بهذه الاتفاقية ، وسيحدث صـراع مع الفرنسيين على امتداد الساحل والحدود الوهميـة بين الداخل السوري والمنطقة الساحلية • سيكون هناك خطر جسيم في حدوث مذبحة في أهل البلد من الكاثوليك في كل من دمشق وحمص وحما وحلب • أن جميع المراقبين المطلعين يتفقون على أن هذا الصراع سيمتد الى بلاد الرافدين ؛ ويعتقد أن العرب آنذاك سيلجأون الى التحالف مع الثوار الاتراك ولن ينقضي وقت طويل قبل ان يصبح الشرق الادنى بأجمعه مشتبكا في صراع مع الحلفاء » •

وفي ٩/٢٧ ذهب بيل الى لندن ليكتشـف بنفسه الحد الادنى لمطالب البريطانيين والعرب والصهاينة • أجرى مقابلات مع كل من السفير دينس ؛

ورستم حيدر الممثل السوري لحكومة الحجاز ؛ والكولونيل كريبون من هيئة أركان الاستخبارات البريطانيـة ؛ والمستر وكهام ستيد رئيس تحرير جريدة التايمس ، والامير فيصل ، والكولونيل كورنو اليس ، والكولونيل سترلنك ، والدكتور غاستر وهو أحد الصهاينـة المتطرفين ، ودي • جي • هوغارث ، وجول كامبون ، السفير الفرنسي ، والكولونيـل لورنس ، والفيلد مارشال اللورد آلنبي ، والجنرال نوري سعيد مع رستم حيدر ، والكولونيل واتسون •

[وفيما يلي أبرز النقاط التي وردت في هذه المقابلات : ــ قال الكولونيل غريبون مــن هيئــة أركان الاستخبارات في وزارة الحرب : « أن الحكومة البريطانية سوف لن تعير أي أهتمـام لأية وعود قدمهـا الكولونيل لورنس للعرب » ويواصل البروفسور بيل تعليقاته قائلا :

« أخبرني المستر ستيد رئيس تحرير التايمس أنه كتم القسم الاخير من رسالة لورنس الاخيرة الى الجريدة والمتعلق بالاتفاقـات بين البريطانيين والعرب • وقال المستر ستيد أن لورنس قد كتب يقول بأن الحكومة البريطانية قد جعلته يؤمن بأنها سوف تفي بوعودها الى العرب وأنــه بناء على إيمانه ذاك فقــد عمل على تشجيع العرب وأنه يرغب في أن يقول للعرب وللجمهور البريطاني بأنه نادم على مافعله لأن الحكومة البريطانية على ما يبدو لا تنوي أن تفــي بالوعود التي خولته بتقديمها للعرب » •

[قال فيصل أنه لن يقبل بأيــة تغييرات في الوضع العسكري في سوريا ، واذا ما قامت بريطانيا بسحب قواتها من هناك فسوف ينشد معونة أميركا • وإذا ما رفضت أميركا القيام بأي معونــة فسيعود الى سوريا ليقود شعبه في عمليات مقاومة مسلحة ضــد الاحتلال الاجنبي • ورفض أن يعبر عن الحد

الادنى من الشروط التي يقبلها إلا أنه صرح بأنه سيقبل بأي حل تفرضه الولايات المتحدة .

وقال الدكتور غاستر أن الصهيونية قد أصبحت مسألة لا معنى لها ، وأن الحركة العربية قد أتسعت الى درجة أصبح معها من المستحيل إيجاد دولة يهودية وبأنه لم يعد بالأمكان أعتبار منطقتي حوران وشرقي الاردن جزءاً من فلسطين ، وبأن البريطانيين والصهاينة قد عقدوا صفقة حصل فيها الصهاينة على النصيب الاسوأ .

وناقش هو غارت الوضع النفطي فأشار ييل الى أنه يرى ان الحكومة الاميركية لن تتساهل تجاه أحتكار بريطانيا لحقول نفط وادي الرافدين وأن ذلك قد يؤدي الى تهديد العلاقات الطيبة بين بريطانيا والولايات المتحدة .

فيما يلي ملاحظات ييل عن مقابلته مع لورنس :ـ

الاربعاء ـ الثامن من تشرين الاول / اكتوبر . الكولونيل لورنس ـ

« زارني الكولونيل لورنس وتحدث بأسهاب عن القضية العربية . قال أنه قد أخبر لويد جورج بكل وضوح أن على الحكومة البريطانية أن تسمح للعرب بأن يشكلوا حكومة عربية في بلاد الرافدين . وقال انه قد بين بكل وضوح لكل من لويد جورج واللورد كيرزن بأن الحكومة البريطانية لن تستطيع ، بدون استخدام قوات كبيرة . من البقاء في بلاد الرافدين اذا لم تف بوعودها في تأسيس حكومة عربية هناك .

ثم أخبرني بأن اللورد كيرزن قد تبنى مؤخرا وجهة نظر أكثر لبرالية بشأن سيطرة بريطانيا على بلاد الرافدين وانه أصبح يميل الى منح العرب ما يريدونه . وأضاف لورنس بأن الجنرال ولسن[8] قد أستدعي من منصبه في العراق لانه قد مارس هناك سياسة الاستعمار التي طبقت في الهند . وبأن خليفة الجنرال ولسن قد تلقى التعليمات بتنفيذ سياسة الحكم الذاتي المحلي .

وأطلع لورنس على حلي المقترح ووافق عليه قلبيا وقال انه يمنح العرب أكثر مما تجرأ هو نفسه بالمطالبة به لهم • وألحّ عليّ بضرورة مواجهة اللورد آلنبي ولويد جورج • أخبرت لورنس انــي أتحرك على مسؤوليتي الخاصة ولا أستطيع أن أطلب مقابلة هاتين الشخصيتين بدون علم وموافقة حكومتي »•

[يرى اللورد روبرت سيسيل بأن ليس هناك من سبب يمنع منح العرب في شمال بلاد الرافدين قدرا كبيرا من الاستقلال وتساءل عن السبب الذي يدعو لفرض سيطرة بريطانية مباشرة في جنوب وادي الرافدين • وقال السير هنري مكماهون ان مقترحات بيل تتفق مــع الاتفاقات التي أبرمها مع الملك حسين وألح على بيل بأن يقابل اللورد آلنبي • وأظهر غارفن أنه على اطلاع واسع بمسألة النفط •

بعث اللورد آلنبي بطلب بيل قائلا انه يريد الاطلاع على مشروعه الذي سمع عنه من الكولونيل لورنس • وقال بيل أن الفرنسيين يرفضون ان يكونوا متساهلين مع العرب في سوريا اكثر مما يتســاهل الانكليز معهم في العراق • وأضاف : « ان اللورد آلنبي بدا اكثر تفهما لذلك وانه يفضل سياسة متساهلة للغاية في بلاد الرافدين » •

كان اللورد آلنبي ودودا للغايــة ومتحمســا للتوصل الى حل يرضي الفرنسيين ويفرح العرب •

قال نوري سعيد ورستم حيدر انهما يستطيعان قبول حل مثــل الذي أقترحه بيل في مقال نشره في التايمس خلوا من الاسم وان فيصل سيقبله كذلك عندما يحين الوقت • كان الحل الذي أقترحه بيل للقضية كما يلي : ــ تبقى فلسطين تحت الانتداب البريطاني ويسمح للصهاينة بتنفيذ خطتهم • يكون جبل لبنان وحدة سياسية منفصلة تحت الانتداب الفرنسي • تكون سوريا من معان والعقبة حتى حلب ومينائي طرابلس واللاذقية دولة مستقلة مشروطة تحت حكومة عربية تمثل سكانها • تكون هــذه الدولة العربيــة تحت الانتداب

الفرنسي • تقسم بلاد الرافدين الى منطقتين تضم الشمالية منها الولايتين العثمانيتين السابقتين بغداد والموصل وتضم الجنوبية منها ولاية البصرة وأمارة المحمرة • تكون المنطقة الشمالية متمتعة بأستقلال مشروط وتحت حكومة عربية تمثل سكانها وخاضعة للانتداب البريطاني • اما المنطقة الجنوبية فتمنح حكما ذاتيا محليا تحت الانتداب البريطاني • ويشكل مجلس اتحادي يتكون من نواب يمثلون كل من المناطق العربية الاربع على ان يعقد أجتماعاته في فترات معينة •

ان النقص في هذه الترتيبات كان في مفهوم « الانتداب » والذي وصفه لورنس في رسالته الى بيل في تشرين الاول / اكتوبر ١٩٢٩ بما يلي : — « ••• وعن طريق خديعة الانتداب استولى البريطانيون والفرنسيون على كل شيء » • (راجع الرسالة ٤٢) •

وبطبيعة الحال لم يدرك بيل ولا أي شخص آخر في ذلك الوقت الى أي مدى يمكن ان تغير معاني عبارة « الانتداب » •

علم بيل فجأة من الكولونيل واتسن بان مجلس الحرب البريطاني قد تبنى خطة بيل فعاد فورا الى باريس لكي يعرض خطته على الساسة الفرنسيين الذين كان على صلة بهم وهم المسيو بيرتلو والمسيو روبرت دوكيكس والمسيو جان گو والمسيو هيربت رئيس تحرير جريدة « الوقت » •]

[عثر على مسودة الرسالة الآتية بين أوراق لورنس بعد وفاته موجهة الى لويد جورج • وأظن أنها كتبت بعد ان تبنت الوزارة البريطانية خطة بيل وأن لورنس كتبها في لحظة أبتهاج • غير ان ليس هناك دليل على انه ارسلها له • وقد علمت من سكرتير اللورد لويد جورج بأن اللورد لا يحتفظ بأية مذكرات أو أوراق تعود الى لورنس •]

٢٤ـ الى المستر لويـد جورج

الخميس أيلول/١٩١٩

ينبغي عليّ أن أعترف بأنني كنت أعتقد من كل قلبي بأنك ستخيب أمل العرب في نهاية الامر ، ولهذا أجد صعوبة كبيرة في ان اعرف كيف أشكرك . ان هذه القضية تخصني شخصيا لانني كنت أوكد للعــرب خلال المعارك ان وعودنا لهم صادقة الكلمة وكنت أعزز هذه الوعود بكلماتي التي أتعهد بها ، على مقدار ما تحمله من قيمة . والآن أجدك عن طريق اتفاقيتك حول سورية قد حافظت على كل وعودنا لهم وأعطيتهم ربما اكثر مما يستحقونه ؛ ولهذا فان سروري لعظيم لأنني أستطعت ان أخرج من هذا الامر نظيف اليدين . أرجو ان تخبرني ان كان هناك أي شيء تريدني ان أقوم به لك .

ان أول دليل على أمتناني هو أنني سأكون طيعا لوزارة الخارجية ولوزارة الحرب ولن أر فيصل ثانية[٩] .

لورنس

[كانت نشوة لورنس هذه سابقة لاوانها . عندما عاد بيل الى باريس وأوضح لرؤسائه في الوفد الاميركي الى مفاوضات السلام ماذا كان قد صنعه رفضوا ان يسمحوا له بعرض خطته على الفرنسيين والسبب هو ان الرئيس ولسن ، عندما عاد الى الولايات المتحدة ، لم يخولهم صلاحية اتخاذ أي قرار أو القيام بأي عمل . لقد ظهر بذلك موقف فريد من نوعه . وجد جميع أطراف النزاع أنفســهم في ورطة ، وهي أن كل واحد منهم مستعد للقبول بأي حل يقترح شرط ان تقوم ، قوة خارجية بفرضه عليه الا ان الاميركان لم يكونوا مستعدين لفرض أي حل على أيٍ من الاطراف .

لقد أوضحت خطـة ييل بشيء من التفصيل لان ذلك يلقي ضوءاً من الخارج على حالة التوتر التي كانت تسود الموقف آنذاك وعلى العوامل المؤثرة فيه • وينبغي ان يذكر إن من أهم هـذه العوامل أن الولايات المتحدة كانت شديدة الحرص على منع البريطانيين من أحتكار نفط بلاد الرافدين لأن ذلك يهدد بالقضاء على مجمل الوضـع الاقتصـادي لصناعة النفط الاميركية اذا ما أستحوذت بريطانيا على أسواق الهند والصين التي تستهلك المنتجات النفطية الاميركية • وفي الجانب الثاني هنالك عامل آخـر • تعبر عنه وجهة نظر ييل التالية :ــ

« هنالك عناصـر قوة داخل الحكومـة البريطانية لا ترغب في التنازل عن السيطرة المباشـرة على بلاد الرافدين او تتسـامح بأيـة أمتيـازات للعـرب هنـاك • ويعتقد ان شـركة النفط الانكليزيـة الفارسية (Anglo Persian O.C.) والبحريـة البريطانيـة وربما حكومـة الهند أيضا هي التي تمارس هـذه الضغوط • »]

[لقد سمح لي ان استنسخ الوثائق السرية الآتية التي كتبها لورنس وان أنشرها في هذا الكتاب • وكانت هذه الوثائق في الحقيقة في مرحلة الكتابة او المناقشة أثناء ما كان ييل يفكر في القيام بزيارة لانكلترا •]

٢٥ـ مذكرة الى وزارة الخارجية

١٩١٩/٩/١٥ رقم ١٢٩٤٠٥

لاجل أن نتخلص من هيجان الفرنسيين علينا ان نوافق على الجلاء عن كل من حلب ودمشق ودرعا وعمان وننسحب الى « المنطقة الدولية » المعنية في أتفاقية سايكس بيكو • وقد نستطيع كذلك ايقاف معونتنا المالية الى فيصل

غير ان ذلك أمر اكثر صعوبة ، حيث انه يعني بأن الفرنسيين سيقبلون قروضنا على أنها مسؤوليات ، وربما يعني أيضا أستبدال القيادة الحالية للمرشال آلنبي بقيادة عسكرية فرنسية على الساحل السوري ، وتحديد منطقة الحدود الفرنسية ــ العراقية ثم اتخاذ القرار حول الجهة التي ستكون مسؤولة عن الاكراد على سبيل المثال .

وفي كل الاحوال ستقوم الحكومة البريطانية بالطلب رسميا من فيصل بأن يقبل معونة عن المنطقة (ب) (درعا ــ العقبة) . وقبول مستشارين بريطانيين عن تلك المنطقة .

يجب أن تعمل ترتيبات مؤقتة لعمليات الاستيراد والتصدير للمناطق العربية (أ) و (ب) عبر موانيء حيفا وبيروت وطرابلس والاسكندرونة .

علينا ان نحصل على تأكيدات من كل من الفرنسيين والعرب بأنهم سوف يحترمون معا حدود المنطقة الفرنسية من اتفاقية سايكس ــ بيكو (والتي وقعها فيصل بالحروف الاولى عن حكومة دمشق) . ويجب ان يكون مفهوما ان حدوث الاضطرابات في أي من المنطقتين سيعتبر من جانبنا على أنه من اهتماماتنا حتى يتم ابرام الصلح مع تركيا .

يجب ان يذكر في هذا الخصوص بأن وقوع الاعمال العدائية بين العرب والفرنسيين ستؤدي الى توقف نقل المواد الغذائية من الارض السورية الى المنطقة الساحلية ويجب ان يفهم الفرنسيون بأننا لن نقوم بتجهيز المواد الغذائية ولا وسائل النقل الى اي من الطرفين في حالة وقوع مثل هذه الحوادث .

فاذا تصرف الفرنسيون بحكمة وتجاهلوا العرب لفترة أثني عشر شهر تقريبا فسوف يتوسل العرب بالفرنسيين طالبين منهم المساعدة . أما اذا لم يطيقوا الآن صبرا فسوف يدفعون بالعرب الى الاتحاد ضدهم . فاذا ما قامت القطعات الفرنسية بتجاوز حدودهم المثبتة في اتفاقية سايكس ــ بيكو بدون موافقة العرب على ذلك فسيؤدي هذا العمل الى حدوث انفجار في الموقف .

ان من مصلحتنا فوق كل شـيء ان نمنع حدوث مواجهـة بين العرب والفرنسيين • فاذا أخفق العرب في الجولـة الاولى فستخمد جذوة الصراع • غير أن العرب يمسكون بزمام المبادرة واذا ما حققوا نصرا في بداية الصراع فقد يؤدي ذلك الى أتحاد جميع مسلمي سوريا ضـد القوات الفرنسية • ان مثل هذا العمل سيجبرنا ربما على الرجوع الى خطوطنا في بغـداد والقدس كأجراء وقائي وقد يؤدي الى اعلان تفاهـم بين فيصل ومصطفى كمال تجاه منطقة سيلسيا[أ] •

ان مصطفى كمال قلق بشـأن عمليات الفرنسيين هناك وهو في الوقت الراهن موال للبريطانيين كما يظهر من الثقة التي يوليها للبريطانيين المتعاطفين مع تركيا (وهم كل من مونتاگيو وسي • أيمري وأوبري هربرت)[ب] • غير أنني آمل ان يلفت النظر الى تقـدم البلاشفة في تركستان[ج] • من الممكن ظهور نسخة اسلامية من البلشفية شبيهة بالحركة الوهابية وسوف يعرضنا ذلك للاذى بنفس المقدار تقريبا في كل من العراق وايران [د] • أننا نمهد الطريق لهذا الامر بسماحنا لنوئيل بمغازلة الاكراد[هـ] •

أنني أعتبر الموقف في بلاد الرافدين مثيرا للقلق بنفس الدرجة • وما لم نصوب مسلكنا فعلينا ان نتوقع الثورة حوالي شهر آذار/مارس القادم[و] •

لاجل تنظيم شؤوننا في أرجاء الامبراطوريـة التركية السابقة ولجعل قواتنا الضعيفة هناك في وضع يمكنها من تقديـم المسـاعدة العاجلة لبعضها البعض في الحوادث الوشيكة الوقوع يبدو أن من الافضل ان توحد قياداتنا العسكرية تحت قيادة واحدة[ز] • ان المارشال آلنبي مؤهل من حيث القدم العسكري لقيادة جنرالاتنا في آسيا الصغرى وبلاد الرافدين وسوف لا يجد صعوبة في القيام بذلك اذا ما ألقى بمسؤولية الادارة المباشـرة في مصر على عاتق أحد مرؤسيه •

تي • أي • لورنس

٢٦ـ الى اللورد كيرزن

١٩١٩/٩/٢٧ وزارة الخارجية • رقم ١٣٤٢٣١

عزيزي اللورد كيرزن

أضع هذه المذكرة على شكل رسالة شخصية لاجل ان تكون حرا في ان تتصرف بها كيفما تشاء •

لو طلب مني ان أقنع فيصلا بصورة معقولـة بقبول أتفاقية باريس للاسبوع الماضي فسأبين له ما يلي : ـ رغم ان هذه الاتفاقية ذات طابع مرحلي تماما الا ان بأمكانه ان يعمل على ترسيخ بنودها في سوريا بحيث تصبح أساسا لتسوية دائمة •

أ ـ سأقول له : لكي تكون الاتفاقية موافقة تماما لرغباته فهو بحاجة الى بعض التفسيرات واضـافة بعض النقاط ، وأقترح عليه ان يطلب من حكومة صاحب الجلالة تأكيدات تفيد بان تعهداتنا بشأن الطابع العربي لحكومة وادي الرافدين ماتزال قائمة ، وأننا لأجل تخفيف الموقف الراهن (ريثما تصدر قرارات مؤتمر الصلح) يكلف السير برسي كوكس بواجب الحاكم العام هناك مرة اخرى ويستخدم نائبه الحالي بوظيفة خارج المنطقة •

ان فيصلاً لا يتوقـع من السير برسي كوكس ان يقدم على إجراء أية تغيرات معينة • ان ما يطلب ليس تغيير الحقائق بل تغيير روحية الحكم • وفي نفس الوقت فأن احدى النتائج التي تترتب على لجنة ملنر قد تكون تغيرا في علاقة مصر مع الحكومة في الداخل والنتيجـة الاخرى المطالبة بجعل وضع بلاد الرافدين يسير على نهج الدستور المصري الجديد •

ان طموحـي الخاص هـو أن تكون بلاد العـرب أولى بلدان الدومينيون السمراء التابعة لنا وليست آخر مستعمراتنا السمراء • ان العرب ينقلبون ضدك اذا ما حاولـت ان تسوقهم عنوة • فهم عنيدون

كاليهود • الا أنك تستطيع ان تقودهم دون اللجوء للقوة اذا ما سرت معهم يدا بيد بصورة شكلية •

ان لبلاد الرافدين مستقبل عظيم الى درجة اننا اذا استطعنا ان نكسب البلاد قلبيا فسنتمكن من السيطرة على جميع الشرق الاوسط معه •

ب ــ ثم أقترح على فيصل ان يطلب من موظفي حكومة جلالة الملك ان يقنعوا الفرنسيين بقبول ما يلي :ــ

(١) عند اتمام الجلاء تصبح الادارة العربية الحالية ادارة مدنية وان يقوم مجلس منتخب من المنطقتين (أ) و (ب) بالتصديق على هذه الاتفاقية وعلى منصب فيصل • (بطبيعة الحال ستكتب هذه الاتفاقية في باريس وتوقع من قبلنا ومن الفرنسيين ومن قبل فيصل) •

(٢) يتم حينئذ الاعتراف بهذه الحكومة المحلية الجديدة ، كما تعهدنا به في الاعلان الانكلو فرنسي في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨١ (شبيه بما صار بشأن بولندا وسلوفاكيا) •

(٣) تمنح حكومة صاحب الجلالة الادارة العربية منطقة حرة في ميناء حيفا ويمنحها الفرنسيون منطقة حرة أما في طرابلس او في الاسكندرونة • (اننا بواسطة تقديمنا التسهيلات في حيفا سنجبر الفرنسيين على نفس الشيء • ان طرابلس والاسكندرونة هما ميناء المستقبل لبلاد الرافدين) •

(٤) يتم وضع الاتفاقية اللازمة لخط السكة الحديد لاعطاء قيمة عملية لامتيازات المناطق الحرة في الموانيء •

(٥) يتم الجلاء عن المنطقتين (أ) و (ب) بصورة كاملة • (لا يرغب في ذلك لا البريطانيون ولا الفرنسيون • فنحن نريد ابقاء حامية في

درعا ويريد الفرنسيون الابقاء على قواتهم في دمشق • غير أنني أعتقد ان على الفرنسيين ان يدفعوا ثمن ذلك الامتياز : راجع الفقرة ٦ أدناه) •

واذا ما أصـر الفرنسيون على رفض وجـود كورنو اليس في دمشق كمستشار للمنطقة (أ) فعلينا ان نذهب الى سوريا وننقل فيصل وكل الحكومة السوريـة الى درعا في المنطقـة البريطانية وبالمقابل تمنع حكومة صاحب الجلالة بقاء مقيم فرنسي في المنطقة (ب) آنذاك سيعلم الفرنسيون أن عليهـم ان يكونوا معقولين في تصرفاتهم •

أظن انفيصل سيقبل بهذهالشروط اذا ماأوضحتها لهبنفسي انهناك المقترحات الصهيونيـة وراءه ولو أنني أقترح ان تبقى حكومة صاحب الجلالة على جهل بها •

ج ـ بأمكاننا ان نجعل المحادثات الحالية فرصة مناسبة لتنظيم المعونات التي تقدم للحجـاز • بودي أن ارفع هـذا العبء عـن عاتق وزارة المالية الامبراطورية وأجعلها تسدد من فائض الحكومتين المحليتين في كل من سوريا والعراق فتقتسمان العبء حسب ما تتفقان عليه وتقدران الحصة بموجب ميزانية الحجاز التركية سابقا •

ولكون الادارتين في سوريا والعراق ما زالتا حاليا لم تتمكنا ماليا فعلى القوى الكبرى التي تتولى أمورهما ان تضمن دفع معونة الحجاز نيابة عنهما في الوقت الحاضر يقتسم هذا الالتزام في سوريا مناصفة بين الحكومتين البريطانية والفرنسية اللتان تتوليان دفـع المبلغ سنويا الى حكومة سوريا لكي تحولـه الى الحجاز • اما حكومة بغـداد فتبعث بالمبلغ مباشرة الى مكة •

يبدو لي ان من المحتم ان تكون المرحلة التالية في الحركة العربية بأن ترتبط المدن الحجازية بدمشق بنفس مستوى العلاقة التي كانت في العهد التركي (مثلما ستكون المرحلة الثالثة ارتباط كل من مكة ودمشق بحكومة بغداد عندما ترتفع كثافةالسكان فيالعراق الى مثيلتها في مصر)• ان المرحلة الثانيـــة خطر دخول نفوذ فرنسي كبير الى مكة ، غير اننا اذا ما دفعنا نصف تكاليف الحجاز مباشرة الى مكة ودفعنا حصـــة اخرى مباشرة الى حكومة سوريا فسوف تتمكن من القبض على زمام الامور بدرجة معقولة عند حدوث اي طاريء •

د ــ اما بشأن المنطقـــة الساحليـــة الفرنسية في ســـوريا فقد قبل الفرنسيون « الفرنسيون في سوريا مثلما البريطانيون في العـــراق » لذلك طالما كنا اكثر لبرالية (مثل الجناح اليساري في المفهوم البرلماني) فسنكون نحن الذين نحدد الموقف • ان امتزاج العلاقة بين الادارات العربية والبريطانية والفرنسية على امتداد بلاد العرب ستكون حالة غريبة تماما وليس لدّي أي شك في ان الطرف الاوسط (دمشق) سيلفت نظر كل واحد منا الى ما يتمتع به الطرف الآخر من حسنات • ان علاجنا وسياجنا ان نبقى دائما الى « اليسار » • وأظن ان مثال انجازاتنـــا البناءة في بلاد فارس قـــد يساعدنا فعليا في بلاد الرافدين •

تي • أي • لورنس

[لاريب ان هذه الرسالة المبينة أعلاه هي التي أشـــار اليها لورنس في مقابلته مع البروفسور بيل بعد بضعة ايام •

فشل مشروع بيل لانه لم يكن هنالك من يعمل على فرض الامر المقبول، وأكثر ما يخيب الامل ان الحكومة البريطانية رجعت الى اتفاقية لويد جورج ــ كليمنصو • ولما وجد فيصل ان البريطانيين قد تخلوا عنه وان جميع الوعود التي

قدمها له الكولونيل لورنس قد ألقيت جانبا لجأ الى عقد اتفاقية منفصلة مع كليمنصو احتفظ بموجبها بمدينة دمشق وأرض سوريا الداخلية .

في ٢٥/٤/١٩٢٠ قرر المجلس الاعلى للحلفاء منح فرنسا حق الانتداب على سوريا ، وفي صيف ١٩٢٠ مزق ميلران الاتفاقيـة التي عقدتها فرنسا مع فيصل فقام الجنرال غورو بأحتلال الارض السورية وأجبر فيصل على الرحيل وتوجت فرنسا حكمها السيء لسوريا بقصف دمشق لمدة ثماني وأربعين ساعة في شهر تشـرين الاول /اكتوبر ١٩٢٥ . كان ذلك من أفعال الجنرال ساريل الذي كان قـد قاد جيوش الحلفـاء في سلانيك خلال الحرب والتي وصفها لودندورف بأنها اكبر معسكرات الاعتقال . اما انكلترا التي كانت تتذبذب سياستها في العـراق فقد عادت الى اتباع طريقـة حكـم تشبه (السياسـة الاستعمارية في الهند) .

وفي الوقت الذي كان لورنس يذوق طعم الاندحار في مؤتمر الصلح كان يتحول الى بطل شعبي في لندن . ففي آب/ اغسطس ١٩١٩ بدأ لويل توماس، الذي كان قد ألتقى بلورنس في العقبة سنة ١٩١٧ ، بألقاء سلسلة من المحاضرات في كوفنت گاردن بعنوان « مـع آلنبـي في فلسطين والاستيلاء على الارض العربية المقدسة » ، ثم غير العنوان بعدئذ ليصبح « مع آلنبي في فلسطين ومع لورنس في جزيرة العرب » . أصابت هذه المحاضرات نجاحا منقطـع النظير حضرها مجتمع لندن وأعضاء الوزارة . ثم تحولت الى ألبرت هول وأستمرت حتى شهر كانون الثاني / يناير التالي وبلغ عدد من حضرهـا اكثر من مليون شخص . لقد نجح توماس في وضـع لورنس في مكانه المناسب على خريطة المجتمع . ثم ذهب في جولـة في استراليا ونيوزيلندا حيث كتب من هناك الى لورنس في تشرين الاول / اكتوبر ١٩٢٠ ليقول له « أظنك ما تزال مختفيا في معتزلك في اوكسفورد مبتعدا عن انظار الكونتيسات الايطاليات » .

كان لورنس قد عاد فعلا الى اوكسفورد بعد خيبته وسكن حينا في شارع بولستيد وحينا في كلية اول سولز (All Souls) • وقد وصفت لي أمه كيف أنه أثناء تلك الفترة من الكآبة العميقـة والانهيار العصبي كان يجلس احيانا طيلة الصباح ما بين الفطور والغداء جلسـة واحدة بدون حراك وعلى وجهه انطباع واحد لا يتغير •] •

٢٧ـ الى اللورد ونترتن

١٩٢٠/٤/٢٢ كلية أول سولز ــ اوكسفورد

عزيزي ونترتن

أسرعت بالمجيء الى هنا لقضاء شهر وأنا أكاد أكون مفلسا • نعم ، لقد ألتقيت ترنچارد ليلة أمس • لقد كبر كثيرا حسب قولك ، بينما كان قبل سنة ١٩١٤ انكليزيا بحجمه الصغير • أعتقد انه مصيب في جميع الجوانب • وبعد حديث طويل معه أراني أميل الى تأييد خطته • وهي تتضمن تعيين سالموند بوظيفة المندوب السامي في بغداد (وفي ذلك خلاص مفرح من تقاليد الادارة المدنية في الهند) واعتبار وزير المستعمرات مسؤولا ، ربما أسميا ، عن الموقف وانشاء جيش عربي تحت ادارة عربية ــ بريطانية للدفاع عن البلاد •
لقد وجدت ترنچارد أمينا ومخلصا (بحق الله لا تكرر هذه العبارة !) وعازما على ان يعامل الناس هناك بالانصاف • وهو يعتقد مثلنا ان لافائدة هناك في قصف السكان بالطائرات •

أخبرته ان جويس سيعاونه على انشاء الجيش العربي (وقام بذلك فعلا بالتعاون مع جعفر العسكري) ، ومن دواعي السرور أن نرى نوري وجعفرا والبقية يمارسون أعمالهم مرة أخرى •

وعلى كل حال سأزودك بالمزيد من هذه المعلومات عندما نلتقي ، ومالم يحدث ما يؤدي الى أثارتك أرى ان تمتنع عن مهاجمته في مجلس العموم لأنني

أعتقد بأنه محق فيما يقصده . ما أغرب ان يوجد شخص بدون مشاكل في المدينة .

سيكون حديثنا ممتعا وانا متشوق لذلك غير انني لست على ثقة من ان أوبري هربرت سيأتي مبكرا كما تتصور . يبدو ان ألبانيا تثور بأشكال شتى في آن واحد ويحتمل ان ينصب نفسه على عرشها لبضعة اسابيع .

المخلص أبدا

لورنس

ابعث بهذه الرسالة الى عنوانك في مجلس العموم . وهو ليس العنوان الذي أفضله ، غير أنني دائما انسى العنوان الآخر .

ل

٢٨ـ الى رئيس تحرير جريدة التايمس

١٩٢٠/٧/٢٢ كلية أول سولز

سيدي

أثناء جلسة مجلس العموم هذا الاسبوع التي نوقشت فيها قضايا الشرق الاوسط أبدى احد المخضرمين في المجلس استغرابه من ان العرب في بلاد الرافدين يشهرون السلاح في وجهنا رغم حسن نيتنا في نظام الانتداب هناك. وقد ردّد الكثيرون هذا الاستغراب هنا وهناك في الصحافة . يلوح لي أن هذا الموقف يستند الى سوء فهم لآسيا الجديدة ولتاريخ السنوات الخمس الماضية مما شجعني على أن أقحم نفسي على صفحات جريدتكم وأعرض تفسيري للموقف .

لقد ثار العرب على الاتراك خلال الحرب ليس لأن الحكومة التركية كانت سيئة للغاية بل لانهم أرادوا الاستقلال .

انهم لم يخاطروا بحياتهم ليستبدلوا سيدا بسيد ، او ليصبحوا رعايا بريطانيين او مواطنين فرنسيين بل ليكسبوا قضيتهم الخاصة •

اما التساؤل عما اذا كانوا يستحقون الاستقلال أم لا فذلك أمر ينبغي أن يختبر • ان الحق بالحرية لا يستدعي ان يكون الانسان جديرا بها ، فلقد أخذها الافغان والبلغار والتاهيتيون • انك تتمتع بالحرية عندما تكون جيد التسلح او متمردا عنيفا او تسكن بلاد وعرة المسالك الى درجة يصبح فيها ثمن احتلال جيرانك لأرضك أغلى مما يكسبه • لقد ظلت حكومة فيصل تتمتع بأستقلال تام لمدة سنتين في سوريا واستطاعت ان تحافظ على الامن العام وتقديم الخدمات العامة في منطقتها •

لم تحصل بلاد الرافدين على نفس الفرص لحمل السلاح ، فهي لم تحارب الاتراك مطلقا وعندما (قاتلتنا) فعلت ذلك بدون حماس • وبناء على ذلك فقد أقمنا هناك أدارة حربية • لم يكن لنا الخيار في ذلك • الا ان ذلك كان قبل سنتين • ولم نحاول لحد الآن ان تتحول الى حالة السلم ، وليس هنالك في الحقيقة ما يدل على اننا سنتحول قريبا • وحسبما تعبر عنه البيانات الرسمية فإن « تعزيزات كبيرة » في طريقها الى هناك وسرعان ما سيزيد عدد أفراد حاميتنا على المائة ألف في الشهر القادم وسيرتفع مبلغ مصاريفنا الى خمسين مليون باوند لهذه السنة المالية ، ومع ذلك ستزداد الجهود التي علينا ان نبذلها كلما ازداد اصرار العراقيين على الاستقلال •

لاعجب في ان ينفذ صبر العراقيين بعد سنتين من الاحتلال فان الحكومة التي أقمناها هناك انكليزية الطابع وتدير أمورها باللغة الانكليزية • لذا فهناك ٤٥٠ موظف تنفيذي يديرونها ، وليس فيها اي فرد من ابناء البلاد • أما في أيام الحكم التركي فأن سبعين في المائة من موظفي الادارة المدنية كانوا من السكان المحليين •

ان جيشنا الذي يبلغ تعداده ٨٠٠٠٠ رجل ينشغل بواجبات بوليسية وليس بواجب حماية الحدود • انهم يمسكون برقاب الناس • بينما كان الجيش التركي في العراق ، والمتكون من فيلقين ، يضم من الضباط العرب ما نسبته ستون بالمائة من مجموع ضباطه وخمس وتسعون بالمائة من أفراده كانوا عربا كذلك • ان المثقفين العراقيين يشعرون بالمرارة لانهم محرومون من المشاركة في ادارة البلاد ومن مهمة الدفاع عنها • حقيقة اننا جعلنا مستوى الرفاه العام في الكفة الراجحة من الميزان ولكن من الذي يلتفت الى ذلك عندما تكون الحرية بالكفة الخاسرة منه ؟ لقد أنتظروا طويلا ورحبوا بأخبار انتدابنا عليهم لأنهم حسبوا ذلك نظام حكم ذاتي لأنفسهم أما الآن فلقد فقدوا الامل في حسن نيتنا •

العلاج ؟ أنني لا أرى اي علاج إلا في تغيير فوري في سياستنا • هنالك خطأ في المنطق الذي يقف وراء مجمل الوضع الراهن • لماذا يقتل الفرد الانكليزي (أو الهندي) لأنه يعمل على أقامة حكومة عربية في بلاد الرافدين، وهو ما يتفق على ان حكومة صاحب الجلالة تريد أن تفعله ؟ أنني أوافق على نية الحكومة بهذا الشأن غير انني أفضل ان أترك ذلك للعرب ليفعلوه • وبأستطاعتهم ذلك • ان تجربتي المحدودة في مساعدة فيصل في اقامة الحكومة قد علمتني ان فن الحكم يحتاج الى قوة شخصية اكثر مما يحتاج الى أدمغة •

ينبغي ان تكون العربية هي لغة الحكومة • سيؤدي ذلك الى تقليل عدد الموظفين البريطانيين والعودة الى أستخدام المؤهلين من السكان العرب • وان يشكل جيش ذو فرقتين من المتطوعين من السكان المحليين كلهم من العرب ابتداء من قادة الفرق حتى اصغر الجنود (ويتيسر الآلاف من الضباط وضباط الصف المدربين) • وتكلف هذه الوحدات الجديدة بواجب المحافظة على النظام ويعمل على أخلاء البلاد من جميع الجنود البريطانيين وكل الجنود الهنود • قد تستغرق هذه التغييرات أثني عشر شهرا وبعدها سنكون متمكنين من ادارة

بلاد الرافدين بنفس المقدار الذي ندير به كندا او جنوب أفريقيا ، قليلا كان ذلك أم كثيرا • أعتقد ان العرب في هـذه الحالة سيكونون مخلصين لنا كأي شعب آخر في الامبراطورية ، بدون ان يكلفنا ذلك فلسا واحدا •

سيقال لي ان فكرة بلدان ، (دومينيون) سمراء في الامبراطورية البريطانية انما هي فكرة غريبة، ولكن مشروع مونتيگيو ومشروع ملنر ما هما الا الطريق الذي يؤدي الى ذلك الوضع ، والبديل الوحيد لذلك كما يبدو هو الغزو المباشر وهو مالا يريده الفرد الانكليزي العادي ولا قدرة له على تحمل كلفته•

بطبيعة الحال ان هناك نفط في بلاد الرافدين ولكن ذلك سيبقى بعيدا عن متناول يدنا طالما بقي الشرق الاوسط في حالة حرب ، واذا كان النفط ضروريا لنا الى تلك الدرجة فأظن ان بالامكان جعله مادة للمساومة • ان العرب ليبدون على أستعداد لدفع دماءهم ثمنا للحرية فكم من النفط سيدفعون ثمنا لهـا ؟

تي • أي • لورنس

[بعد النهوض الاقتصادي الذي أعقب الحرب حدث هبوط معاكس وشعر الجميع بضرورة الاقتصاد في النفقات • كانت بريطانيا تسيطر على بلاد الرافدين بواسطة جيش كان يكلفها ستين مليون باون في السنتين ١٩٢٠ و١٩٢١ • وقد علق ليدل هارت على ذلك بأن تكاليف السيطرة على العراقيين تعادل ستة مرات ما تطلبته عملية تمويل كل الثورة العربية ضد تركيا لنفس المدة تقريبا • ومع ذلك فلقد كان هناك بعض الذين ورّطوا بريطانيا في هذه الخسائر المذهلة في المال والبشر إلا أنهم كانوا يهاجمون لورنس بأستمرار على أساس أنه لم يتوصل الى ما حققه من نجاح بدون ان يدفع المعونات المالية للعرب(١٠) • أتبع لورنس رسالته التي بعثها الى جريدة التايمس يوم ٧/٢٢ بمقالتين بيّن فيهما رأيه بقوة أشد ، نشرت الاولى في جريدة الاوبزفر يوم

١٩٢٠/٨/٨ بدون تعليق عليها ، إلا ان الثانية نشرت في جريدة السندي تايمز يوم ١٩٢٠/٨/٢٢ ونشر معها مقال أفتتاحي قوي العبارة للغاية جاء فيه : ـــ

« لماذا نحن في بلاد الرافدين ؟ ان التصريحات المبهمة التي أخذت تصدر من الحكومة تحمل الانطباع بأن الدوائر الرسمية قد أصابها الارتباك وتسعى الى أخفاء تخبطاتها اكثر مما تسعى الى تقويمها . غير أنه ليس من الممكن أخفاء هذه التخبطات أكثر من ذلك . فان الرجال الذين بعثناهم لتعمير البلاد تركناهم دون ان نشرف على أعمالها او نحد من تصرفاتهم قد أسرفوا في تبذير الاموال وفي تسلطهم العسكري مثلهم كمثل أي باشا من الاتراك » .]

(نشرت المقالة التالية في الاوبزرفر يوم ١٩٢٠/٨/٨)

٢٩ـ فرنسا وبريطانيا والعرب

بقلم الكولونيل تي . ئى . لورنس

ظهر في انكلترا شعور بأن احتلال الفرنسيين لدمشق والاطاحة بفيصل عن العرش الذي إرتقاه نتيجة انتخابه من قبل السوريين الاوفياء انما هو شر جزاء لما قدمه لنا فيصل اثناء الحرب . ان فشلنا في رد الجميل لكرم أحد أصدقائنا الشرقيين ليترك فينا شعورا بالمرارة . أن شجاعة فيصل وحسن سياسته قد جعلتا ثورة مكة تنتشر الى ماوراء حدود المدن المقدسة حتى أصبحت خير مساعدة تقدم للحلفاء في فلسطين . أما الجيش العربي الذي ظهر الى الوجود في ميدان المعارك فقد تطور من مجرد عصبة من البدو حتى صار مجموعة من القطعات المنظمة حسنة التسليح . لقد أسر هذا الجيش خمسا وثلاثين ألفا من الاتراك وأوقع اصابات في مثل هذا العدد وأستولى على مائة

وخمسين مدفع وسيطر على مائة ألف ميل مربع من الاراضي العثمانية • لقد كانت تلك أعظم خدمة في وقت نحتاج فيه الى مثلها وشعرنا أننا مدينون للعرب بما يجزيهم ولفيصل ضعف ذلك على ما أظهره لنا من ولاء في تنظيم عمليات العرب الرئيسة حسب توجيه آلنبي •

ولكننا لسنا في موقف يسمح لنا بتوجيه اللوم الى الفرنسيين في هذا الشأن • فلقد جاءت تصرفاتهم داخل منطقة نفوذهم في سوريا مطابقة بكل تواضع للمثل الذي ضربناه لهم في تصرفاتنا في العراق • ان انكلترا تسيطر على تسعة أعشار العالم العربي وبذلك تكون هي التي تعزف النغمة التي يرقص عليها الفرنسيون • فأذا أتبعنا سياسة تناصر العرب فعليهم ان يفعلوا مثلنا ، واذا قاتلنا العرب فعليهم كذلك ان يقاتلوا العرب • سنكون على قدر من السماجة اذا ما انكرنا على الفرنسيين ما عملوه من قتال قرب دمشق وتصفية التجربة السورية في الحكم الذاتي ، وفي نفس الوقت الذي نشن فيه المعارك قرب بغداد ونحاول ان نجعل العراقيين عاجزين عن حكم نفسهم بنفسهم بالقضاء على أي شخص يرفع رأسه بينهم •

قبل بضعة اسابيع طلب عدد من الشخصيات العربية المعروفة في العراق مواجهة مع رئيس الجهاز الاداري البريطاني في بغداد ليعرضوا عليه مطاليبهم في الحكم الذاتي المحدود • كان جواب الحاكم البريطاني ان حشر مع هذا الوفد الشعبي عددا من الاشخاص الذين عينهم بنفسه ورد على المجتمعين قائلا لهم ان وقتا طويلا سيمضي قبل ان يكون العراقيين مؤهلين لتحمل مسؤوليات الحكم[١١]• انها كلمات جريئة دون شك إلا أن نتيجتها كانت وخيمة على الجنود البريطانيين من كتيبة مانجستر قرب مدينة الحلة هذا الاسبوع ان لمثل هذه الثورات مسار مطرد فهي تبدأ بأنتصارات اولية للعرب وبعدها ترسل التعزيزات البريطانية كقوة تأديبية • تشق هذه القوات طريقها نحو أهدافها عبر سلسلة من المعارك تقصف أثنائها هذه الاهداف بالمدافع والطائرات والسفن

الحربية (وتتكبد فيها خسائر طفيفة بينما يتكبد العرب خسائر جسيمة) وينتهي الامر بأحراق احدى القــرى ويعم الهدوء في المنطقــة • ان من الغريب أننا لا نستعمل الغازات السامة في هذه الاحداث • ان قصف مساكن الناس انما هي طريقة رقيعة مثل القضاء على النساء والاطفال ، بينما يحقق جنودنا نجاحاتهم في قتل الرجال من العرب • أما استعمال الغاز الســام في الهجوم على الناس فإنها طريقة بارعة في إبادة كل السكان في المناطق المتمردة • وهي ليست أقل أخلاقية كوسيلة للحكم مما نفعله الآن هناك •

اننا ندرك مدى العبء الاقتصــادي الذي يلقيه جيشنا في العراق على الميزانية الامبراطورية إلا اننا لا نرى بنفس الوضوح مدى العبء الذي يكونه هذا الجيش على الوضــع في العــراق • فأفراد الجيش يحتاجون الى الطعام وحيواناته كذلك تحتاج الى الطعام • يبلغ تعداد القوة المحاربــة الآن أربع وثمانون ألف رجل إلا ان عدد الافواه التي يجب اطعامها يبلغ ثلاثمائة ألف • ان كل جندي يحتاج الى ثلاثة عمال لخدمته وتموينه وبذلك يعمل مع جيشنا عشر السكان في العراق في هــذا الوقت • لقد أستهلك جيشنا كل خضراء في البلاد ولما يبلغ الطوفان مداه • ولأجل المحافظة على سلامة موقفنا هناك علينا الآن ان نضاعف عدد حاميتنا الحالية • وكلما تستنفد الموارد المحلية كلما أدى زيادة عدد افراد الجيش الى أرتفاع التكاليف فوق ماتحسبه المتوالية العددية•

ان وجود هذه القوات انما هو لمجرد القيام بالاعمال البوليسية للسيطرة على المواطنين ، هؤلاء الذين قيل عنهم في مجلس اللوردات قبل اسبوعين بأنهم متلهفون لأستمرار بقاءنا في بلادهــم • ليس بأمكان احــد ان يتصور ماذا سيكون موقفنا لو ان احدى الدول المجاورة للعراق والتي تشعر بالحســد تجاهنا (وكلها تخطط للعمل ضدنا) تبدأ بالهجوم علينا من الخارج في الوقت الذي نواجه فيه تمرد السكان علينا في الداخل • ان خطوط مواصلاتنا طويلة ورديئة وان مواضعنا الدفاعية مكشوفة من جميع جوانبها ، وفي الفترة الاخيرة

يبدو ان حادثتان من هذا النوع قد وقعتا . يظهر اننا اصبحنا لا نثق بقطعاتنا كما كنا نفعل أثناء الحرب .

والى جانب ذلك فهنالك مشكلة الاشغال العسكرية . فالحاجة تدعو لبناء معسكرات وثكنات كبيرة وأنشاء مئات الاميال من الطرق العسكرية . والجسور الكبيرة التي تستطيع تحمل سيارات الشحن لا تتيسر الا في مناطق متباعدة حيث تكون الوسيلة الوحيدة لنقل الحمولات هي على ظهور الحيوانات. وشيدت هذه الجسور من مواد مؤقتة وتحتاج الى مبالغ طائلة لصيانتها . كما ان ليس فيها اية فائدة للحكومة المدنية التي فرض عليها ان تأخذها بكلفة عالية . وهذا يعني ان الدولة الجديدة هناك ستبدأ حياتها وهي مثقلة بديون فرضت عليها فرضا .

ان الساسة البريطانيين ، من رئيس الوزراء فما دون ، يولولون وينتحبون بسبب العبء الكبير الذي ألقي على عاتقهم في بلاد الرافدين . فاللورد كيرزن يصرح قائلا « أتمنى لو ان بأمكاننا أن نكون جيشا محليا ، إلا ان الناس يرفضون الخدمة العسكرية » (وربما يضيف قائلا في سره « اللهم إلا اذا كان ذلك للقتال ضدنا ») ، ليتنا نجد عددا من العرب المؤهلين لملء الوظائف الادارية ... »

ان ماحدث في سوريا يمكن ان ينير أمامنا الطريق لمعالجة هذه الشحة في ذوي المواهب من السكان . لم يواجه فيصل صعوبة في تجنيد الافراد لجيشه، ولو انه وجد صعوبات في دفع اجورهم ، إلا ان الظروف كانت مختلفة لانه قد حرم من واردات الكمارك بصورة اعتباطية . كما لم يواجه أية صعوبة كذلك في تكوين الجهاز الاداري في سوريا ، والذي كان يتصدر فيه خمسة كلهم من أهل بغداد . لم يكن ذلك الجهاز الاداري ممتازا على كل حال الا ان الناس في الشرق أقل منا مطالبة بحقوقهم . وحتى المصلح الاغريقي صولون (٦٣٠ — ٥٦٠ ق.م) لم يمنح أهل اثينا أفضل القوانين إلا أنه منحهم أفضل مايستطيعون قبوله .

ان البريطانيين في العراق عاجزون عن العثور على شخص قدير واحد .
الا أنني اوكد ان ماجرى خلال الاشهر القليلة الماضية قد أظهر فشل سياستهم
لذلك علينا ان لا نقيم وزنا كبيرا لآرائهم . أنني أعرف عشرة موظفين اداريين
بريطانيين ذوى سمعة عالية ومثبوتة في السودان وسيناء وجزيرة العرب
وفلسطين يستطيع اي واحد منهم ان يقيم غدا في بغداد حكومة
عربية شبيهة بما فعله فيصل في سوريا . لن تكون هذه الحكومة
مثالية بطبيعة الحال الا أنها قد تكون خيرا من حكومة فيصل لأن المسكين لم
يمنح فرصة الاستعانة بالخبراء الاجانب لان إُريد له أن يفشل ويسقط . ان
محاولة اقامة حكومة عربية في العراق ستتمتع بأسناد بريطانيا لها ، وستكون
ادارتها امرا سهلا للغاية اذا ماتولاها شخص لائق طالما حاول ان يديرها كما
أُديرت مصر على عهد كرومر لاكما أُديرت مصر تحت الحماية . لقد هيمن
كرومر على مصر ليس لان الحكومة البريطانية ساندته ولا لأن المصريين قد
احبونا ولا لأي سبب خارجي ، بل لأنه كان انسانا قويما . ان لدى انكلترا
العدد الكافي من الرجال من الطراز الاول . ان العبقرية آخر شيء نحتاجه هناك .

ان المطلوب هو ان نبطل ما صنعناه هناك ونبدأ من جديد كمستشارين
فلا فائدة ترجى من ترقيع الوضع الراهن . ان عبارات مثل « مراعاة مشاعر
السكان » وغيرها من الكلمات العقيمة ليست سوى تنازلات تنبع من ضعفنا
ولن تولد الا المزيد من حوادث العنف . لقد كبرنا لدرجة تسمح لنا بأن نعترف
بأخطائنا ونقلب صفحة جديدة ، وعلينا ان نفعل ذلك ونحن نصرخ ابتهاجاً ، لأنه
سيوفر علينا ملايين الباونات كل أسبوع .

٣٠ـ بلاد الرافدين

بقلم الكولونيل السابق تي. ئي. لورنس

(نشرت في جريدة السنداي تايمس ، عدد ١٩٢٠/٨/٢٢ تحت التعليق الآتي : ــ ان السيد لورنس ، الذي أصبحت عمليـة ادارته وتنظيمه لثورة الحجاز ضد الاتراك من اشهر قصص الحرب ، قد كتب هـذا المقال بناء على طلبنا من أجل ان يكون الجمهور على علم تام بألتزاماتنا في العراق) .

ان الناس في انكلترا قد أُقعوا في مصيدة في العراق سيكون من الصعب عليهم ان يتخلصوا منها بشرف وكرامـة . ان حجب المعلومات عنهم بصورة مستمرة قد أدى بهـم الى الوقوع مخدوعين في هـذه المصيدة ، فان بيانات الحكومة في بغداد تأتي متأخرة وناقصة ومنافقة . ان الامور أسوأ بكثير مما قيل لنا عنها وان ادارتنا في العراق اكثر دموية وعجزا مما يقال للناس هنا . ان هذا الامر عار على تاريخنا الامبراطوري؟ وسرعان ما ستصل الحال الى وضع ملتهب لا يرجى له شفاء .فاليوم نحن أقرب ما نكون من الكارثة . ان الأثم الاكبر يقـع على عاتق المسؤولين عن الادارة المدنيـة البريطانية في العراق (وخاصة أولئك الضباط الثلاثة برتبة كولونيل) الذين أطلقت لندن أيديهم في ادارة البلاد . ان هذه الادارة لا تخضع لتوجيهات دوائر وزارة الخارجية بل تعمل من خلال الفجوة التي تفصل ما بين وزارة الخارجية ووزارة الهند . لقد استفاد رجال هذه الادارة من حرية العمل التي سمح لهم بها أثناء الحرب لكي يستقلوا بتصرفاتهم الخطيرة أثناء السلم . انهم يقاومون اي اقتراح يأتيهم من الحكومة في لندن بشأن أنشاء حكم ذاتي حقيقي . وقد نشروا هناك مؤخرا تصريحا منمقا حول الحكم الذاتي كتبوه ووزعوه على عجل استباقا لتصريح اكثر تسامحا كان موضع الاعداد في لندن . وكانوا في سنة ١٩١٩ ينتزعون من السكان في العراق ، بيانات عن « تقرير المصير » ترجح كفة بريطانيا ، عن طريق

الضغط السياسي واظهار العضلات بواسطة الطائرات وعن طريق نفي الشخصيات الى الهند ٠

ليس بوسع الحكومة البريطانية ان تتنصل من مسؤولياتها جميعا ٠ فإن ما يصلها من معلومات اكثر بقليل مما يصل الجمهور ، وكان عليها ان تطالب بمعلومات اكثر وافضل ٠ فلقد بعثت الى تلك البلاد دفعة وراء اخرى من التعزيزات العسكرية دون ان تحقق في الامر ٠ ولما أصبح الحال سيئا لدرجة لا تحتمل قررت الحكومة ان تبعث بمندوب سامٍ هو نفس الشخص الذي كوّن النظام القائم هناك ، وحملته رسالة ترضية الى العرب بأن شعوره وسياسته قد تغيرا كليا(١٢) ٠

ومع ذلك فإن سياستنا لم تتغير ولا حاجة هناك لتغييرها ٠ فالمشكلة ان هناك تناقضا يبعث على الاسى بين ما نقوله وما نفعله ٠ لقد قلنا أننا ذهبنا الى العراق لاجل ان ندحر تركيا ٠ ثم قلنا اننا باقون في العراق من اجل ان نحرر العرب من اضطهاد الحكومة التركية ومن أجل أن نفتح أمام العالم طريقا الى ثروة البلاد من نفط وقمح ٠ وبذلنا في سبيل هذه الغايات مليوناً من الرجال وألف مليون من المال ٠ ونحن نبذل هذه السنة اثنين وتسعين ألفاً من الرجال وخمسين مليونا من المال لنفس الغايات ٠

لكن حكومتنا أسوأ من النظام التركي القديم ٠ فهي قد جندت أربعة عشر ألفاً من السكان في قواتها المسلحة ، وصارت تقتل مائتين من العرب سنويا للمحافظة على الامن ٠ والآن لدينا هناك تسعون ألفاً من الرجال مع الكثير من الطائرات والعجلات المدرعة والسفن الحربية والقطارات المدرعة ٠ وقتلنا ما يقرب من عشرة آلاف من العرب في ثورة هذا الصيف فقط ٠ اننا لا نستطيع الاستمرار على هذه الشاكلة ، فالعراق بلد فقير قليل السكان ؛ ولو شاهد عبدالحميد ما نصنعه لصفق اعجابا بصنيع سادته ٠ يقولون لنا ان لهذه الثورة أسباب سياسية ولكنهم لا يقولون لنا ماهي مطالب السكان ، فلربما كان

ما يطلبونه هو نفس ما وعدتهم الحكومــة به . قال أحد الوزراء مؤخرا في مجلس اللوردات اننا ملزمون بأستبعاد ذلك العدد الكبير من جنودنا في العراق لأن السكان المحليين يرفضون الدخول في القوات المسلحة . ونرى الحكومة تعلن يوم الجمعــة عن موت بعض المجندين المحليين(١٣) وهــم يدافعون عن ضباطهم البريطانيين وتضيف أنه لم يتم الاعتراف الكامل بعد بخدمات هؤلاء الناس لقلة عددهم (مضيفــة التعبير التقليدي لحكومــة بغداد بان هؤلاء الاشخاص مــن ذوي السمعة السيئة) . ان هنــاك سبعة آلاف من هؤلاء المجندين ، وهو نصف عدد القــوات التركية التي كانت تحتل العراق . فإذا ما أحسنا توزيــع هؤلاء المجندين وأختير لهم ضباط جيدون لاستطاعوا ان يحلوا محل نصف جيشنا هنــاك . لقد سيطر كرومر على ستة ملايين مصري بخمسة آلاف جندي بريطاني . بينما فشل الكولونيل ولسن في ان يسيطر على ثلاثة ملايين من العراقيين بتسعين ألف من الجنود .

ثم اننا لم نصل بعد الى الحد الاقصى لألتزاماتنا العسكرية . فقبل اربعة اسابيع رفعت ادارتنا في العراق مذكرة تطالب فيها بأربعة فرق اخرى . وأظن ان هذه المذكرة قد رفعت الى وزارة الحرب التي بادرت الى ارسال ثلاثة ألوية من الهند فمن أين سيرســل الباقي اذا أريد عدم الاخلال بقــوات الحدود الشمالية الغربية ؟ وفي ذات الوقت فان قواتنا التعيسة الحظ ، هندية كانت ام انكليزية ، تعيش ظروفا صعبة من الطقس وامور التموين وهي تحرس مساحات شاسعة ، وتدفع ثمن ذلك غاليا في الارواح ، كل ذلك لأجل السياسة الخاطئة المتعنتة للإدارة المدنية في بغداد . لقد أعفي الجنرال داير من منصبه في الهند بسبب خطأ أصغر من ذلك بكثير . غير ان المسؤولية في هذه الحالة لا تقع على عاتق الجيش الذي لم يتصرف الا بموجب ما طلبته منه السلطات المدنية . لقد بذلت وزارة الحرب كل جهودها من أجل تقليل عدد قواتنا هناك إلا أن قرارات مجلس الوزراء كانت تعارض ذلك . تقوم حكومة بغداد بشنق العرب في تلك

المدينة لأسباب سياسية تسميها الحكومة تمردا • ان العرب ليسوا متمردين علينا • أنهم مايزالون رعايا أتراك من الناحية الاسمية وفي حالة حرب معنا من الناحية الاسمية كذلك • أنريد بهـذه الاعدامات اللاقانونية ان تثير العرب لينتقموا من الثلاثمائة أسير بريطاني لديهم ؟ واذا كان الامر كذلك فهل نريد أن يكون مصير أسرانا أشد قسوة ، أم أن ذلك لأجل اقناع بقية قطعاتنا لكي يقاتلوا حتى الموت ؟

نحن ندّعي ان وجودنا في أرض الرافدين هو من أجل تطويرها لمصلحة العالم • ويتفق جميع الخبراء بان الايدي العاملة هي العامل الحاسم في عملية تطور هذه البلاد • فألى أي حد سيكون قتل عشرة آلاف فلاح ومدني خلال هذا الصيف أمرا معرقلا لعملية أنتاج القمح والقطن والنفط والى متى سنسمح بالتضحية بالملايين من الباونات والآلاف من جنـود الامبراطورية وعشرات الآلاف من العرب في سبيل شكل من الادارة الاستعمارية التي ليس فيها نفع لأي أحد سوى موظفيها ؟ •

لورنس

٣١ـ الى أج• آر• هاردلي

٢٥/٩/١٩٢٠م اوكسفورد

عزيزي هاردلي

هذه واحدة (صورة فوتوغرافية ؟) وهي ليست بالشيء الكثير ولكنها خير ما استطعت العثور عليه • أظن ان گوزلت هو الذي ألتقطها خارج خيمته في العقبة عندما لم أكن أرتدي عباءتي • اما عن مكة • فأرسل لك ثلاث صور لها ألتقطها طبيب عربي • انها مكان غريب وملفت للنظر فليس فيها أشجار أو ماء جار ، وهي مدينة شديدة الحر تقع في وديان ضيقـة تحيطها تلال كلسية

ويسكنها حوالي مائة وعشرين ألف شخص • ليس من الصعب جدا في الحقيقة أن تصل الى هناك اذا ماكنت معروفا من قبل الناس لأنهم غير متعصبين • انهم لايسمحون بدخول النصارى لأن ذلك قد يغضب بقية المسلين في العالم (في الهند وبقية البلدان) ، واذا ما حدث ذلك فقد يمتنعون عن المجيء الى الحج ، وفي الحج كل واردات ذلك المكان • لذلك اذا ما سألني أحد ان كنت قد زرت المكان فعلي ان اجيب بالنفي ظاهريا ، وبأمكانك ان تخمن الجواب الصحيح بيني وبينك • يجب ان لا تصل هذه الاخبار الى الصحافة لان ذلك قد يضر كثيرا بسمعة الملك (حسين ، شريف مكة) •

سنتعشى معا يوما ما ، غير أنني يجب ان اكسب بعض المال أول الامر ، ربما سأضع كتابا لأكسب المال عن طريقه • أما الآن فأنني أعاني من الافلاس التام ولانني أعشق أوقات الفراغ كثيرا فأنني لا ارغب في الانصراف الى العمل ثانية • ان الحكومة تريدني ان اعود للعمل في الشرق •

المخلص لورنس

٣٢- برقيـة الى الحكومة

[لقد أضطر رئيس الوزراء لويد جورج بأعتباره مسؤولا عن سياستنا في العراق الى احداث تحول رئيسي في هذه السياسة • لم يفعل لويد جورج ذلك بسبب الرغبة في أن يحقق للعرب مالـم يحققه لهم من وعود او ينصفهـم في حقوقهـم بل نتيجة للحملة الصحفية على فضيحة جهازنا الاداري في العراق ورفعها شعار « الجلاء عن بلاد الرافدين » كنتيجة للركود الاقتصادي والدعوة الى الاقتصاد بالنفقات •

كان الكولونيل ولسن قد بعث في ١٩٢٠/٦/٩ برقيـة من بغـداد الى الحكومة يقول فيها :ـ

« يجب ان نكون مستعدين لتجهيز الرجال والاموال ونحافظ على أستمرار سيطرتنا لعدة سنوات قادمة . يجب أن نتهيأ ، بغض النظر عن عصبة الامم ، لأن نمضي ببطء شديد في بناء المؤسسات الدستورية والديمقراطية ... واذا أرتأت حكومة صاحب الجلالة أن هذه السياسة غير قابلة للتطبيق أو أنها تفوق قدراتنا فمن الافضل لها أن تواجه البديل الآخر وهو الجلاء عن بلاد الرافدين ... »

[لم تكن هذه البدائل مقبولة عند الحكومة ، وأجابت الوزارة أنها عهدت الى السير برسي كوكس مهمة تشكيل حكومة عربية مؤقتة . غير ان هذه الخطوة الاولى لم تكن كافية لإرضاء سكان العراق ولا لإسكات انتقادات الصحافة في الداخل . كان الامر يتطلب تغييرات كاسحة ليؤدي الى توفير مبالغ كبيرة للاقتصاد وعزم لويد جورج على اخراج الشرق الاوسط من مسؤولية اللورد كيرزن في وزارة الخارجية وايداع أمره الى ونستون تشيرشل الذي تولى وزارة المستعمرات . تم تعيين لورنس ، الذي كان قد بحث الموقف مع لويد جورج بمنصب المستشار السياسي لوزير المستعمرات تشيرشل وتسلم وظيفته في نفس الغرفة مع كل من السير جون شاكبره والميجر هيوبرت يونغ . أشترط لورنس أن يتم الوفاء بالعهود التي منحت للعرب على قدر ما ينسجم ذلك مع وجود الفرنسيين في سوريا ، وان يتم تطبيق الخطة التي بحثها مع مارشال الجو ترنجارد والتي تقضي بأجلاء الجيش عن العراق والقاء مسؤولية المحافظة على النظام الداخلي في العراق على عاتق القوة الجوية الملكية . في سنة ١٩٣٣ دون لورنس الجمل التالية على مسودة الكتاب المعنون « لورنس ، في بلاد العرب وما بعد ذلك » ، لمؤلفه ليدل هارت : ــ

« أما عن تأثير القصف الجوي فقد ظهر لي أثناء الحرب ان قوة مختلطة من العجلات المدرعة والطائرات كفيلة بالسيطرة على الصحراء بشرط أن لا تكون تحت سيطرة الجيش البري وبدون اسناد من المشاة . ويمكن ان تعزى سيطرة القوة الجوية في العراق وعدن وفلسطين الى هذه الخبرة . وحالما تمكنت من تثبيت موقفي الخاص في الشرق الاوسط فاتحت ترنجارد حول هذا الموضوع وكسبت موافقة ونستون بسهولة وأقنعت مجلس الوزراء بالموافقة على الفكرة (رغم مخادعات الفيلد مارشال هنري ولسن) — ونجحت العملية تماما . غير ان هذا النظام لا يمكن تطبيقه في كل الظروف والمواقع . »]

[أتخذ القرار في لندن على الخطوط التي يجب بموجبها تشكيل الدولة العربية الجديدة في العراق وذلك قبل ان ينعقد مؤتمر القاهرة الذي حضره تشرشل ولورنس والميجر هيوبرت يونغ في آذار / مارس ١٩٢١ وحضر فيه كذلك جميع الذين يحملون مسؤوليات المنظمات البريطانية الحكومية والعسكرية منها في الشرق الاوسط . كان من بين الحاضرين السير هربرت صموئيل والسير برسي كوكس والآنسة جرترود بيل وجعفر باشا (العسكري) والسير هيو ترنجارد والجنرال جفري سالموند .

قدم فيصل كمرشح للعرش وهو من الشخصيات المرغوب فيها عند الحكومة البريطانية والى حد كبير بفضل نفوذ جرترود بيل ، وتم انتخابة من قبل أغلبية كبيرة من العراقيين في شهر حزيران/يونيو التالي . وبأسناد من لورنس عرض ترنجارد على المؤتمر فكرة خطة السيطرة الجوية في العراق بكلفة تخمينية تقل بملايين عديدة عن اقل كلفة يمكن تصورها لإدامة جيش

الاحتلال هنـــاك • وبالمناسبة فأن لهذه الخطـة فوائد متعددة بالنسبة لدافع الضرائب البريطاني لأن أجواء العـراق تهيء مناخا مثاليا للتدريب لوحدات القوة الجوية الملكية فهو بذلك فرصتها الكبرى • ان هذه التسوية لمشكلة العراق خيبت بطبيعة الحال آمال الكثير من القادة الطموحين ، وقد بين الكثير من الضباط البريطانيين الذين تركوا الخدمة على أثر ذلك انهم لا يجدون في هذا النظام أيةفائدة واستمروا بالهجوم على سمعة لورنس ليس فقط كمستشار سياسي بل وكذلك كعسكري وكاتب ورجل ، ولـم يتركوا فرصة تفوتهم في ذلــك •]

٣٣ـ الى سي• أم• داوتي

١٣/٦/١٩٢١ وزارة المستعمرات

عزيزي المستر داوتي

كان عليّ أن أجيبك قبل هذا الوقت الا أنني كنت آمل ان آتي لزيارتك ولكني الآن أشعر بأنني لن استطيع ذلك ، ان لديّ الكثير مما أعمله هنا ، فان تشرشل سيلقي خطابه في المجلس غـدا وعندما تنتهي مشـاكل ذلك الامر سيبعثوني ربما الى جدة لمقابلة الملك حسين • وفي تلك الحالة سـأحاول ان أختلس وقتا لزيارة الطائف وأشاهد المنطقة المحيطة بها •

ان عبدالله الآن في شرق الاردن يدير حكومة هناك بدون مساعدة منا ولكن بدون أي تفويض رسمي • لقد رفض بالحقيقة هذا التفويض الى ان يستشير والده ويوافق على ذلك • كان ذلك أسلوبا مؤدبا للتعبير عن رفضه المطلق •

أخشى ان ليس هناك كتاب أزرق سيصدر عن حرب الحجاز ، وربما لن يصدر مطلقا • لقد بعثنا ببعض التقارير الى مصر ولكنها بقيت طي الكتمان وتقبع الآن مدفونة في مكان ما بين السجلات •

لقد طلب مني صديقي أوبري هربرت ، وهو مخلوق رائــع ، ان آخذ توقيعك على نسخة من الكتاب « الجزيرة العربية » ولدي واحد عليه توقيع فيصل أقدمه هدية زواج لأخيه . أرسل لك هــذه النسخ بالبريد وسأكون شاكرا جدا لو وضعت توقيعك على الاجزاء الاربعة .

هذا واعتذر عن ازعاجكم

المخلص

لورنس

٣٤ـ الى سي . أم . داوتي

١٩٢١/٦/١٨ وزارة المستعمرات

عزيزي المستر داوتي

أشكرك كثيرا على التوقيع على تلك الكتب ، وطلب مني أوبري هربرت ان أقدم لك شكره كذلك . ان التوقيــع على نســخ من كتابك « الجزيرة العربية » يمنح الناس شعورا بالأثارة .

لقد أضطربت اوضاع الشرق الاوسط ، وأضحى الحسين غير محبوب في مكة، كما كنت تظن ! ولكنه مع ذلك مايزال قويا ، واذا ماذهبت الى الطائف فربما سيكون ذلــك بواسطة احدى سياراتــه ، سنقوم بتزويده ببعض العجلات المدرعة الامر الذي سيجعل طريق الحجاج على قدر كبير من الامان . وهذه العجلات أفضل بكثير من الشرطة الهجانة .

اما بشأن الطبعة الثالثة من الكتاب فأنني قد سحبت ملاحظتي عنه لأن فيها شيء من السماجة . لقد أقدم (لي ورنر) على المقامرة بأعادة طبع الكتاب لان أسمي قد ظهر على صفحة عنوان الكتاب الى جانب أسمك ... وقد تزداد مبيعات الكتاب بذلك .... قد تظهر طبعة رخيصة من الكتاب في المستقبل الا

أن ذلك سيتأخر بعض الوقت ، حماية لحقوق الذين دفعوا كلفة طبع النسخ الغالية ... ربما سيحدث ذلك سنة ١٩٢٥ .

المخلص تي . أي . لورنس

[في ١٩٢١/٦/٣٠ صدر الامر بتعيين « حبيبنا وموضع ثقتنا المطلقة السيد توماس إدوارد لورنس ، اللفتنانت كولونيل في جيشنا ، حامل الاوسمة MHOB و DSO » بمنصب مندوب فوق العادة تحت خاتم انكلترا العظيم مكلفا بالتعامل مع ملك الحجاز . حافظ لورنس على هذه الوثيقة . والغريب في الامر أنه أخذها معه الى القاعدة الجوية في أوكسبرج في السنة التالية عندما انخرط في سلك القوة الجوية الملكية متخفيا بأسم جي . أج . روس حيث كان حريصا على اخفاء هويته الحقيقية .]

[سمحت لي وزارة المستعمرات بنشر الفقرتين الاوليين من التقرير السري الآتي . أما بقية الوثيقة والتي تتعلق بصورة رئيسة بالشؤون المالية لشرق الاردن فقد أفسحت مجالا أقل لروح الدعابة في أسلوب لورنس الذي يظهر السخرية من الانكليز كليا وليس على حساب العرب الذين كان يصفهم بأنهم يصنعون أفضل ما يمكن بما يتيسر لديهم من الوسائل .]

٣٥ـ مقتبس من تقرير لورنس عن شرق الاردن

١٩٢١/١٠/٢٤

ذهبت الى عمان في ١٠/٢٤ للاطلاع على الموقف الراهن هناك .

(١) الوحدات البريطانية

كانت العجلتان المدرعتان غير صالحتين للاستعمال . لقد حصلنا عليهما بصعوبة من وزارة الحرب على أمل أنهما ستساعدان في المحافظة على الأمن

والنظام في شرق الاردن . لم تستطع هاتان العجلتان الخروج من معسكرهما لعدة أسابيع قبل وصولي ، لقد كانت العجلتان في حالة ميكانيكية لا بأس بها الا أنهما كانتا بدون أطارات وبدون قطع غيار ولم يكـن فيهما مصابيح ولا نضائد ، وتنقصهما الرافعات والمنافيخ الهوائية والوقود . كان لكلتي العجلتين سائقان ورامیان ، وهو عدد لا يكفي لأستعمالهما أو لأستعمال مدفعيهما ، غير ان الامر لم يكن بتلك الدرجة من الاهميـة حيث لم يكن هناك أحزمة لعتاد المدافع ولا عتاد ولا قطع غيار لهما . ومن بين السائقين الموجودين كان واحد « مساعد سائق » يُراد منه ان يتولى القيادة من السائق الاول عند الطوارىء أما عن قدرته فلا علم لي بذلك . أما السائق الاول والذي يفترض فيه أن يكون مؤهلا لقيادة العجلة فبأمكانه ان يقودها الى الامـام الا أنه عاجز عن قيادتها رجوعا الى الخلف . لذا فهو قائم على التدريب على ذلك في الفسحة التي بين خيام المعسكر .. أظن ان مـن اللازم إخبـار وزارة الطيران عن حالة هذه الحضيرة من العجلات قبل ان يطلب منها ان تدفع الى وزارة الحرب تكاليف ادامتها .

بعد وصولي ببضعة ايام وصل العقيد الطيار گوردن ليتولى قيادة القوة الجوية الملكية والعجلات المدرعة الملحقة بها . أعتقد أنه سينجح في الوصول بالوحدات التي بأمرته الى مستوى الكفاءة خلال أيام قلائل . آنذاك سنقوم بتنفيذ برنامج للعمليات .

(٢) الوحدات العربية

يبلغ تعداد قوة الاحتياط التي بقيادة الزعيم پيكه بيك اكثر من خمسمائة رجل . ان افراد هذه القوة جيدون والبعض من ضباطهم جيدون جدا . كما ان الطابع العام لهـذه الوحدة يوحي بالتفاؤل . وأعتقد ان أحوالها الداخلية على ما يرام ويعزى الفضل في ذلك الى الزعيم پيكه بيك . أما في الظاهر فإن الامور ليست على ما ينبغي . اولا هناك شعور بين سكان الاردن بأننا قائمون

على أنشاء جيش لغرض تحطيمهم خدمة لمصالحنا • وبعد ان مرّ بعض الوقت صاروا يقولون اننا نتعمد تكوين جيش ضعيف لكي يكون لنا عذر في ارسال جيش بريطاني الى بلادهم • ان سبب ذلك هو التأخير الذي حصل في تجهيز القوة بالمواد والتجهيزات ، فلقد حرمت من الملابس الرسمية وسروج الخيل والرشاشات والبنادق • ليس بمقدور پيكه ان يدع جنوده يظهرون بين الناس مالم يكونوا حسني المظهر ومجهزين بالبنادق ، فكل رجل بلغ سن العسكرية في الاردن يسير وهو يحمل بندقية لان ذلك من مظاهر الاحترام والهيبة ، بينما نرى وحدة پيكه ، والتي تدعى القوة العسكرية ، هي العنصر الوحيد الذي لا يحمل السلاح في البلاد • ومتى ما أصلح هذا الوضع ، فستخمد شكوك الناس فينا •

٣٦ـ الى الكولونيل أس• أف• نيوكومب

١٩٢١/١١/٨ عمان

عزيزي أس • أف • أن

هناك شيء واحد فقط يجب ان يقال للفرنسيين • ان القبض على القتلة أمر مرغوب بلا شك وهو أحد وظائف الحكومة • غير أننا في عمان علينا اولا ان نكون الحكومة ومن بعد ذلك ، نجعل الرأي العام يقف معارضا للاغتيال السياسي • وبعد ذلك سيأتي القبض على القتلة في الوقت المناسب • اما في الوقت الحاضر فمن السخف ان يتم ذلك ولن يكون لي دور فيه • نحن لا نستطيع ان نقوض آمالنا في بناء كيان ما لمجرد إرضاء مشاعر جيراننا في الوقت الذي جعل الفرنسيون مهمتنا هنا من أصعب ما يكون ــ ان كانت حقا من الممكنات ــ بتجاهلهم الارعن للتصرفات الرزينة التي تراعيها الامم فيما بينها •

أرجو ان تذكّر الفرنسيين بأنهم قد قتلوا الأسرى من العرب بعد معركة ميسلون ونهبوا مساكن وحوائج فيصل وأصدقائه . ان الجميع قد ساهموا بنصيبهم في إرتكاب الاعمال القذرة وأنني أشكر مالدي من آلهـة على أنني لست عربيا ولا فرنسيا بل مجرد ذلك البوهيمي المسكين الذي توجب عليه ان يمسح ما يخلفوه .

ذهبنا في الاسبوع الماضي الى معان بواسـطة القطار . وحالما سيكون لدينا مستودع للوقود في معان سنذهب الى تبوك . لقد اصبح لدينا مقطورة جيدة بفضل هولمز الذي كان كريما معنا .

تعال هنا في وقـت ما ان استطعت ، وسوف أريك الصورة الحقيقيـة الفرنسية من الداخل . انها قبيحة .

المخلص لك

تي . أي . أل

[أثنـاء ما كان لورنس يعمـل في وزارة المستعمرات أبـدى الاسقف الانجليكاني في القدس الدكتور ماكنس قلقه من العبارة التالية التي وردت في كتاب « الصهيونية والسياسـة الدوليـة » لمؤلفه هوريس أ . م كالون : ـ « ان تصور الادارة العسكرية في فلسطين لأمكانية استمرار الحماية البريطانية على المنطقة الممتدة من البحر المتوسط الى الهند ، وبأسناد من مصالح البعثات التبشيرية هناك لهذا التصور ، قد دفعها الى استغلال الشروط التي فرضت في معاهدة لاهاي بخصوص طريقة حكم ما يقع من أرض العدو تحت الاحتلال من أجل تخريب وعد بلفور وتثبيت نظامهم الخاص على اساس الامر الواقع . ان لشعور معاداة السامية بين كبار الموظفين دور غير قليل في هذا الامر . يضاف الى ذلك وبنفس المقدار جهل مرؤسيهم وغبائهم وعدم كفائتهـم . ان عدم أطلاعهم رسميا على وعد بلفور قد ساعدهم كذلك في هـذا الشـأن . كما

ساعدتهم أيضا تلك الدعاية المعادية لليهود التي تقف وراءها المصالح التبشيرية للكنيسة البروتستانتية ، كما بينه الكولونيل لورنس للدكتور وايزمان ... »

في ١٥/١٢/١٩٢١ كتب الاسقف الى لورنس يطلب منه ان يكذب التصريح الذي نسب اليه ويقترح عليه انه قد يجد من الضروري ان ينشر مراسلاتهما هذه في الصحف . ويبدو ان لورنس قد أجاب الاسقف مشيرا له الى المندوب السامي في فلسطين السير هربرت صموئيل . وفي العاشر من ايار/مايو التالي اشار ونستون تشيرشل مبينا بأن « الكتاب المذكور قد نشر قبل ان يصبح لورنس موظفا في وزارة المستعمرات ونتيجة لذلك فإن الرأي الذي نسب اليه من قبل مؤلف الكتاب لا يخص الوزارة في شيء » .

غير ان الاسقف تمسك بموقفه وكتب مرة آخرى في ٢٣/٦ يطلب جوابا من لورنس . مضيفا بأنه سيصل عما قريب الى لندن .

هناك مسودتان لجواب لورنس على الاسقف هما كما يأتي :ــ] .

٣٧ــ المسودة الاولى لرسالة موجهة الى الاسقف الانجليكاني في القدس

عزيزي الاسقف : سأجيب الآن على رسالتك

أنك تريدني ان اكذب كلاما يصرح شخص ثالث بأنني قلته للدكتور وايزمان . أنني لن افعل شيئا من ذلك . فلم يحدث في حياتي أنني قد انكرت اي تصريح نسب إليّ وليس هناك ما يغريني بان ابدأ مثل هذه العادة ابتداء من حالتك تلك ، وخاصة لانني أظنك تريد مني انكار الامر لانك تريد ان تشعر بالثقة في نفسك وتنتصر على الدكتور وايزمان ، ذلك الرجل العظيم الذي لا نليق ، لا أنا ولا أنت عزيزي الاسقف ان نمسح له حذاءه . استجديك ان لا تعتبر رسالتي هذه وقحة بأي حال . وعندما ستحصل لنا السعادة

بالالتقاء (وسيكون ذلك هنا في انكلترا) فسوف يسرني ان أبين لك ان وقاحة هذه الرسالة أمر نسبي .

[قرر لورنس ان يجرب مسودة آخرى لرسالة الجواب على الاسقف . ومع ان المسودة الثانية أقل خشونة من الاولى الا انها قد سببت سخط الاسقف لانها لم تهيء له ممسكا .]

٣٨ـ المسودة الثانية لرسالة موجهة الى الاسقف الانجليكاني في القـدس

[١٩٢٢] [وزارة المستعمرات]

عزيزي الاسقف ، أحقـا !

كنت أرجو انك لابد قد أدركت ما أنت سائله عندما مرت فترة على اول خطاب كتبته . انك في الحقيقة تقول بأن الدكتور كالون يقول بان الدكتور وايزمان يقول بأنني قد قلـت كلاما قبل ثلاث سنوات في باريس ، وبأن هذا الذي قلته قد يؤخذ بأنه يسيء اليك ، وان عليّ ان أنكره .

لقد نسبوا اليّ في السنوات الاربع الماضية الكثير من الاقوال الغريبة : غير انني لم انكر اي واحد منها لأنـني لم اجـد بينها من يستحق التكذيب . وكذلك هذا القول الأخير أجده لا يساوي شيئا ذي بال . انني بصراحة غير قادر على ان افهم مثل هذه الحساسية من جانبك .

ثم انك تريد ان تبعث بمراسلاتنا لتنشر في الصحف . ان ذلك يدل على رغبتك ، لا على رغبتي . أود ان أشير عليك ان لا تقوم بأصدار تكذيب أجوف فذلك شيء عقيم ولا جدوى منه : كما لن يكون خطوة موفقة منك ان تمنح الدكتور كالون فرصة الدعاية له . لو كنت مكانك لفعلت احد أمرين : اما ان اصرح بأنني رسميا وشخصيا قد ايدت سياسة الحكومة البريطانية في فلسطين،

او ان أشير الى ان موقفي كأسقف يمنعني من التصريح العلني بآراء في الامور السياسية • انني اعترف بأنني اجهل موقفك من الصهيونيـة : غير انني على يقين من انه موقف صائب •

اذا ما جئت الى انكلتـرا • كما يوحي لي العنوان الذي اعطيته لي • فأرجو ان تمر فتزورني يوما من الايام ، بعد ان تبعث لي بخبر عن قدومك ان امكن ، لان لي عادات غريبة مثل خط يدي مع هذا القلم الرديء •

أرجو ان تصدق بأنني ، المخلص

تي • أي • لورنس

[نشرت الرسـالة التاليـة عن استقالـة لورنس من منصبه في وزارة المستعمرات على صفحات جريدة المورنتگ پوسـت في ١٩٢٢/٧/٢٠ تحت عنوان « السياسة العربية : أستقالة المستشار الكولونيل لورنس » •]

٣٩ـ الى السير جون شكبره

١٩٢٢/٧/٤

عزيزي شكبره

يبدو لي ان الوقت قد حان لان أقدم استقالتي من دائرة الشرق الاوسط في الوزارة • لابـد ان تتذكر بأن تعييني هناك كان بشكل طاريء اتخذ لان المستر تشرشل كان يقصد ادخال تعديلات على سياستنا ولانه اعتقد بأنني قد اكون عونا للدائرة خلال الفترة العصيبة التي كان يتوقع حدوثها •

حسنا ، كان ذلك منذ ثمانية عشر شهرا ، والآن وبعد ان « غيرنا اتجاهنا » لم تقع بين صفوفنا ، على ما اعتقد ، ايـة اصابات في الجنود البريطانيين ، ان كان في فلسطين او في جزيرة العرب او في الولايات العربية في العراق •

مازالت القضايا السياسية هناك لم تجد حلا بطبيعة الحال ، وستبقى كذلك لمدة طويلة ، غير ان المناقشة حول هذه القضايا والطريق الذي يتبع في معالجتها

قد اصبحتا تتخذان مسلكا دستوريا بصورة مطردة . فلم يحدث اي انفجار سياسي من اي شكل منذ فترة طويلة . قد يكون من الحماقة اظهار التفاؤل المفرط الا أنني في نفس الوقت أعتقد بان الوضع الراهن لا يشير الى احتمال وقوع الاضطرابات .

وكما ذكرت أعلاه ، اعتقد انني توليت وظيفتي هذه لامر طاريء ان لدي أمورا كثيرة اخرى اريد ان افعلها علاوة على انني لم آت هنا بمحض رغبتي . وطالما ان الامور أخذت تسير حاليا بشكل مستقر وعلى وتيرة واحدة فأنني لا أجد اي مبرر لان تستمر الوزارة بأستخدامي في وظيفتي بعد ان لم يبق هناك الكثير الذي اعمله لو بقيت في الخدمة .

لذلك سيسعدني ان اترك مثل هذه السفينة المزدهرة ، ان سمح لي المستر تشرشل بذلك . لست بحاجة لان اقول انني سأكون دائما تحت أمره اذا ما حدثت أية أزمة ، أو ظهر هناك عمل عليّ ان أقوم به ، كبيرا كان أم صغيرا ، ان استطاع ان يقنعني بأن وجودي ضروري له .

ينبغي عليّ ان أشكركم شخصيا على توفيركم ذلك الجو المناسب للعمل في الوزارة نفسها .

المخلص

تي . أي . لورنس

[ترك لورنس عمله في وزارة المستعمرات في اوائل صيف ١٩٢٢ ، وربما يكون من المناسب ان ننشر هنا وجهة نظره الخاصة عن العمل الذي انجزه عندما كان مستشارا لتشرشل في الشؤون العربية . أقتبست الفقرات التالية من مسودة كتبت في ١٨/١١/١٩٢٢ لمقدمة طبعة موجزة من كتابه « اعمدة الحكمة السبعة » عن نسخة اوكسفورد أعدها ادوارد غارنت إلا انها لم تنشر . وفي هذه المقدمة يتضح ان لورنس يرى ان مهمته قد أنتهت .]

٤٠ـ مسودة مقدمة كتابة (اعمدة الحكمة السبعة)

١٨/١١/١٩٢٢

يعود تاريخ الكتاب الى سنة ١٩١٩ عندما كانت بعض العناصر المتنفذة في الحكومة البريطانية تبحث عن سبيل تتملص فيه من التزاماتها التي تعهدت بها للعرب خلال الحرب • كان ختام ذلك الفصل في آذار/مارس ١٩٢١ عندما أستلم المستر ونستون تشرشل مسؤوليات الشرق الاوسط • لقد فضل تشرشل الصدق والامانة على المصلحة النفعية لأجل الوفاء بوعودنا نصا وروحا • لقد حقق للعرب كل تعهـدات مكماهون (ويسميها البعض ممن لم يطلّع عليها « معاهدة ») ، في فلسطين ، في شرق الاردن وفي جزيرة العرب • أما في بلاد الرافدين فقد سار الى ابعد مما خطط لها مانحا العرب اكثر ومحتفظا لنا بأقل مما كان مكماهون يعتقده مناسبا •

الا أنه لم يستطع التدخل في الشؤون الداخلية لسوريا الفرنسية ، وليس بوسع شريف مكة ان يشكو بأن تسوية الوضع في تلك المنطقة غير متوافق بعد مع الاتفاقية الانكلو ــ فرنسية لسنة ١٩١٦ أو مع تعهداتنا له • انني أقول «بعد» عن هـذا الامـر لأن مقترحات مكماهون (والتي وضعت على أسس عرقية واقتصادية) كانت ستفرض نفسها حتما بمرور الوقت ، حتى لو لم يتعرض للخطر مستقبل كل المنطقة العربيـة نتيجة لقرار تشرشل التقدمي بالانسحاب العسكري من بلاد الرافدين •

لست راغبا ان انشر وثائق سرية ولا ان آتي بتفسيرات مطولة : غير ان من اللازم ان اسجل إيماني بأن انكلترا قد خرجت من القضية العربية طاهرة الذيل •

لقد رفض بعض دعاة القضية العربية هـذا الاجتهاد مني عن الموضوع (وقد التحق بصفوفنا بعد الهدنة أكثرهم صخبا) • وكما يفعل كل محارب

قديم ممل ، جعلتهم يحسبون جروحي (لديّ منها ستون ، يشهد كل واحد على الآلام التي تحملتها في خدمة العرب) ، لتشهد على أنني عملت الى جانبهم بكل أخلاص • لقد اعتبروني متخلفا ، ويسعدني أن أنسحب من وسط سياسي لم يكن في يوم من الايام متجانسا مع روحي وطبعي •

٤١ـ الى دي• جي• بيرمان

(شباط / فبراير ١٩٢٨ ؟) [كراجي]

عزيزي بيرمان

الكلام الذي ستقرأه ليس بتصريحات • فليس هنالك شيء أريد ان أقوله • ان نتائج ما عملناه أخذت تمضي قدما ولم يبق لدينا سوى دور المتفرج • ان مايقال من الكلام اكثر مما يجب •

ولكن اذا وجدت ان عليك ان تقول المزيد فأرجو ان تعمل على التأكيد على الطابع المحلي للثورة العربية • ان الناطقين بالعربية مختلفون فيما بينهم كأختلاف الناطقين بالانكليزية وبنفس الدرجة من التمايز • ان البعد الروحي بين المغرب وبلاد الرافدين كبير كالبعد الروحي بين سان فرانسيسكو وأبردين• كما ان بين البدو في الازرق والفلاحين في عمان عالم كامل ـ مع ان المسافة بينهما خمسون ميلا • ان المجرم فقط هو الذي يتمنى ان يجعلهم كلهم متشابهين •

كان هدفنا لا ان نحرر البدو من ربقة الاتراك ونمنحهم فرصة ان يحكموا انفسهم بأنفسهم ، وهم الذين يتمتعون بنمط من الحياة الآمنة الحرة التي يحسدون عليها • بل ان نحرر السكان المتوطنين في سوريا والعراق • كان من الضروري ان نتجنب اقلاق الوضع المستقر في كل من مصر والجزائر لذلك أبقينا الحركة العربيـة محصورة ضمن تلك الحدود • ان ماحدث في الشرق

الاوسط هو ان الدين لـم يعد الدافع السياسـي بل تخلّى عن مكانته هذه للدافع القومي • لذلك كانت مهمتنا سهلة نسبيا •

عندما يتحدث الناس عن الاتحادات بين العرب وعن الامبراطورية العربية انهم يفعلون ذلك بخيال واسـع • أتوقع ان أجيالا عديدة ستمر قبل ان يقدم أي بلدين عربيين على الاتحاد بصورة طوعية ـ إلا اذا حدث تسارع كبير في مجرى الاحداث في الشرق • أنني اتفق معهم على أن أملهم الوحيد في المستقبل هو في اتحادهم غير ان ذلك يجب ان يكون عملية طبيعية في تطورهم المشترك • ان فرض الوحدة بالقوة عملية تؤدي الى الهلاك • وفي مثل هذه الامور يجب ان تخضع السياسـة للاعتبارات الجغرافيـة والاقتصـادية • يجب ان تتحسن مستويات المواصلات والتجارة قبل ان تندمج البلدان مع بعضها •

ان ابن سعود هو أقرب محاولة نحو امبراطورية عربية في الوقت الحاضر• انها ظاهرة مختلفة أسست فوق رمال • لن يبرز شيء مستقر في الصحراء التي شاهدت المئات من مثل هذه الحكومات الاستبداديـة قومت جميعها بالدم (وبقدر أقل ربما) ان هذه الانظمة ستذهب •

ان المواقع الوحيدة التي تجري فيها اليوم محاولات لانشاء حكومات عربية هي الحجاز والعراق واليمن ومصر • والحجاز كواحد من هذه المواقع يعيش تحت حكم ابن سعود وضعا أفضل مما كان تحت حكم الحسين • كان الملك الحسين احدى تركات الحرب • لقد كنا مدينين له لمساعدتنا عسكريا ولم نكن نستطيع (ولن نستطيع) ان نعبر له عـن اشمئزازنا مـن طريق حكمه السيئة • لقد أصابتني سعادة لا توصف عندما انتهى أمره • وقد كان أبنه علي شخصا لائقا لم يكن يستحق ماورثه عن والده من موقف عداء مع ابن سعود، ولكنه رحل هو الآخر بطبيعة الحال • أنني أظن ان الحجاز سيكون في يوم من الايام مكانا عظيما • ولكنه مكان مثير مع ذلك •

واكثر بقعة تبشر بالخير في المنطقة هي العراق . لقد عمل ذلك البلد العجائب سنة ١٩٢١ ، عندما أوجده تشرشل ، او أعاد تكوينه بالاحرى . لم تكن الادارة الحربية هناك ذات نفع لنا ولا للعراقيين .

في بداية الامر كان من المنتظر ان تكون سوريا في وضع افضل من العراق ، لأن الناس هناك كانوا اكثر خبرة وتقدما . إلا ان الفرنسيين ، بعد ان طردوا فيصلا ، رفضوا ان يسمحوا بأية حكومة مركزية واحدة إلا في لبنان: وقسموا سوريا الى أربع مقاطعات . ان مكانا صغيرا مثل ذلك لا يتحمل ان يقسم الى خمس إدارات . لابد أنهم سيجدون حلا آخر شبيها بما حدث في العراق : إلا أنك تستطيع ان تقدر مدى حسن الحظ الذي أصاب بريطانيا نتيجة لوجود ونستون تشرشل وزيرا للمستعمرات سنة ١٩٢١ اذا ما قارنت ما تكلفناه في العراق منذ ذلك الوقت مع ما كلفته سوريا ، ومقدار سعادة العراق مع التعاسة في سوريا . ان الكبرياء الفرنسي يلعب دوره وهم يرفضون ان يتعلموا من أخطائهم . أما نحن فلقد قلبنا صفحة جديدة بعد ان رحل لورد كيرزن .

قل لجماعتك بالله عليك ، كائناً من كانوا ، إن كل غايتي كانت أن أنقذ بريطانيا ، وكذلك فرنسا ، من حماقات دعاة الاستعمار الذين كانوا يريدوننا في سنة ١٩٢٠ ان نكرر مغامرات كلايف ورودس . لقد تجاوز العالم تلك المرحلة . ولكني أظن مع ذلك ان هناك مستقبل عظيم أمام الامبراطورية البريطانية كتآلف أختياري ، واتمنى لها ان ترتبط مع الدول الاخرى بمعاهدات على نطاق واسع . اننا نرتبط بمعاهدات مع عديد من الدول اعتبارا من النيبال فنازلا . فلنضيف اذاً كلا من مصر والعراق لهذه الدول . اننا أشبه بشركة كبيرة تستطيع ان تعرض فوائد كبيرة على الشركات الصغيرة ان هي ارتبطت بنا : اذا ما أستطعنا التوصل الى شروط تغري بالارتباط .

والآ ، هل هذا هو الهراء الذي كنت تريد ؟ خذه اذا وافعل به ما تظنه نافعا . كم هو الفرق بين ما نحن عليه الآن وما كنا عليه في الازرق . كم أود لو أستحم مرة أخرى في تلكم البرك ، بما فيها من ذباب وغيره .

المخلص
تي . أي . شو[١٤]

٤٢ الى وليم ييـل

١٩٢٩/١٠/٢٣ ويستمنستر

عزيزي ييل

أوصل لي روبرت غريفز رسالتك ، وأخرت الاجابة عليها ريثما احاول ان استعير لنفسي نسخة من كتاب اعمدة الحكمة السبعة لانظر فيما قلته قبل عشر سنوات . غير انني لم اعثر على أيـة نسخة منه كما أن اجازتي ستنتهي يوم الخميس لذلـك عليّ ان اكتـب لك من الذاكرة عما حدث في دمشق . [أهمل سبع وثلاثون سطرا من الرسالة يسرد فيها لورنس تفاصيل ما صنعه بخصوص المستشفى في دمشق والتي تحدث عنها في الفصلين ١٢١ و ١٢٢ من كتاب أعمدة الحكمة السبعة] . أظـن أنني غادرت يوم ١٠/٤ في طريقي الى انكلترا .

أما بشأن لبنان وبيروت . فلقد ضمنت تعهدا من فيصل وهيئة ركنه بأنهم سيتركون لبنان وشأنه ليقوم الحلفاء بأحتلاله . قدم فيصل هذا التعهد لي في مدينة وجه كما يبدو من قول غريفز (وليس لدي نسخة من كتاب غريفز أيضا !) وعلى أثر الاستيلاء على دمشق فلقد فقدنا أنا وفيصل السيطرة على الموقف . لقد تولى السوريون الامر (علي رضا والاخوان البكري) واتجهوا مسرعين نحو الساحل مباشرة . كانت خطتي ان نحتل المنطقة من فتحة طرابلس حتى

الاسكندرونة شمالا وأخبرت فيصل ان حالة الاضطراب التي ستعقب النصر ستتيح له فرصة كبيرة في ان يجعل هذه المنطقة تضم في نهاية الامر الى المملكة السورية بموجب شروط . مازلت أعتقد ان تلك العملية كانت ممكنة التحقيق الا ان الاحتلال المتهور للبنان وبيروت قضى على الفرص المتاحة أمام السكان المحليين .

ذهب شكري الى بيروت بايعاز من علي رضا . لقد كنت منشغلا للغاية بالمشاكل المتعلقة بدمشق فلم أجد الفرصة لتدبير أمر علي رضا . وعلى كل حال فقد كانت كل آمالي منحصرة بالعودة الى الوطن حيث كنت أحاول الانتقال الى الجبهة الفرنسية لقد كانت مشاكل الشرق ترهق أعصابي .

لم يكن هناك اذاً دخل للشريف ولا لي شخصيا في عملية احتلال بيروت. لقد كنت معارضا لهذه الخطوة على ضـوء مصالحنا ، وقد أمر فيصل أتباعه كذلك بعدم التعرض للمنطقـة السورية السـاحلية الى الجنـوب من فتحة طرابلس . ربما بأمكانك ان تؤيد هذا القول اذا ما علمت ان احدا منا لم يذهب هناك ، لا من الجيش العربي ولا من جماعتنا . كانت خطوة دمشقية خالصة . ان هذه الامور تتعارض مع مصلحة فيصل كأي أمر آخر. لقد كان الدمشقيون يأملون بأن يتخلصوا من العمليات المتوقعة من فيصل بأن يناشدوا أباه الملك حسين القابع بعيدا ، والذي كان يكره فيصلا . لم يكن في نيتي ان أخلق أو أعلن عن قيام أي ملك في دمشق . كان فيصـل يحكم دمشق بأعتباره قائدا عسكريا ضمن قيادة آلنبي . وهي مكانة لا يسهل الهجوم عليها . لقد كان الملك حسين مصدر ازعاج لي ، فقط . فإذا قال لك شكري بأنني شجعته على الذهاب الى بيروت فلربما كان يدعي ذلك نتيجة شعوره بالخوف بسبب الخطأ الكبير الذي ارتكبه فأراد ان يدعي بأنه قد كان مخولا بالقيام بذلك .

انني لأصاب بالذهول لقولك ان الضباط السياسيين البريطانيين كانوا يعملون على خلق موقف في سوريا يجعل من المستحيل تطبيق معاهدة سايكس

ـ بيكو • لقد شعر الفرنسيون بذلك فعملوا جاهدين على اتخاذ الانتداب كبديل لها •

وعمل البريطانيون على تأييد الفرنسيين عن طريق مساومة شائنة وعملوا نفس الشيء في العراق • لم يكن الفرنسيون ليحصلو بموجب معاهدة سايكس بيكو على اكثر من المنطقة الساحلية ، وللعرب ستبقى (كأدارة وطنية) حلب وحما وحمص ودمشق وشرقي الاردن • ولكن بريطانيا وفرنسا أستوليتا على كل المنطقة عن طريق الخديعة التي سموها أنتدابا •

كانت معاهدة سايكس ـ بيكو شيئا مناف للعقل • بما تنص عليه من حدود غير انها كانت تعترف بحق السوريين في تكوين حكومة وطنية وكانت أفضل بعشرة آلاف مرة من التسوية التي أستقرت عليها الامور[١٥] •

ومن باب الانصاف لبريطانيا يجب ان أضيف بأنها أقتنعت في نهاية الامر بالغاء خطة الانتداب في كل من العراق والاردن من الناحية الواقعية ولو أنها ظلت تتمسك بها من الناحية الرسمية استبعادا لتدخل طرف ثالث ، وقد حدث هذا التغيير في موقفها بفضل الضغوط المالية وثورة العراق سنة ١٩٢٠ وربما بسبب ضميرها الذي أيقضته التحركات التي قمت بها في لندن • انني أعتقد جازفا بأنالتسوية التي توصل اليها ونستون تشرشل سنة١٩٢١ــ١٩٢٢ (والتي شاركت في صنعها) تفي بكل أمانة بكل الوعود التي أعطيناها للعرب وذلك قدر ما يتعلق الامر بالمنطقة التي تحت نفوذ بريطانيا • فلو كنا قد فعلنا ذلك سنة ١٩١٩ لحق لنا ان نفتخر بأنفسنا • ان الفرنسيين لم يتعهدوا للعرب بشيء وهم يرفضون ان يتبنوا سياستنا المتحررة • ان ذلك مما يؤسف له لكننا لا قدرة لنا على علاجه •

فهل يهتم احد الآن بما صنعته أنا وأنت او صنعته بريطانيا أو فرنسا قبل عشر سنوات ؟ لندع خمسين سنة تمر على ذلك • اذا ما استمر العراق على عمل يليق به لفترة ثلاثة أجيال فستعتبر الثورة العربية خطوة موفقة • ليس بأمكاننا

ان نجني الحمد او اللعنة خلال فترة حياتنا : وبعد ان أموت فلن يضير عظامي ماذا يقال عني . لقد أسعدتني التسوية التي قام بها تشرشـل الى درجة أنني أنسحبت من ميدان السياسة ، نظيف اليدين حسبما أظن ، وأنضممت في خدمة القوة الجوية وما أزال هناك وأنا سعيد بذلك . ليس هذا العمل من الاعمال المجيدة إلا أنه خاليا من الهموم وصحي وممتع . لم أعد الى الشرق الاوسط ولم أقرأ عنه كتابا او مقالة ، ولم أستلم او اكتب رسالة من والى ذلك المكان منذ سنة ١٩٢٢ عندما ألتحقت بخدمة القوة الجوية الملكية .

تقول أنك تريد ان تقرأ كتابي (الاعمدة السبعة) . أنه كتاب رديء ، كتاب ممل وجنوني وطويل ومليء بالتبجـح . كما انه (والحمد لله) نادر الوجود . وكما قلت لك فلم أكن قادرا على استعارة نسخة منه هنا لأستعين به في الكتابة اليك ، اعتقد ان بعض النسخ قد وصلت الى الولايات المتحدة . لكنهم يقولون انها بلد كبير . لقد كان لدى المسز لامونت نسخة منه . ونسخة لدى دبلدي الاكبر . وكذلك لدى كيرمت روزفلت . لقد رفـع المضاربون ثمنه الى مئات الباونات فقـام كل العقلاء ببيع نسـخهم . هـذا عن الطبعة الانكليزية . وهناك كذلك طبعة أميركية إلا أنها ناقصة . وأتصور ان هناك نسخة من هذه الطبعة في مكتبة الكونغرس في واشنطن فكم من المسافة هناك بين واشنطن ونيوهامبشر ؟ لا ادري بذلك . أرجو ان تصدقني انك لن تخسر شيئا ان لم تقرأ الكتاب .

اما عن مفاوضات السلام ! لقد جرت محادثات سـلام جادة بين فيصل وجمال طيلة سنة ١٩١٨ . لقد أطلّعت على رسائل الطرفين خلسة . وكان من المفروض ان أكون ساخطا على فيصل بسبب ذلك ، إلا ان انكلترا نفسها كانت تتفاوض سريا مع طلعت طيلة سنة ١٩١٨ كذلك ، وبدون اعلامي رسميا عن الموضوع . ان كل شيء مباح في الحب والحرب والتحالفات .

المخلص

تي . أي . شو

الهوامش

(١) كانت المسز ريدر قد ارسلت من اميركا بمسدسين نوع كولت حسب طلب لورنس . فلقد كانت هنـاك شحة في المسدسات في بريطانيا لمـدة بضعة اسابيع بعد بدء الحرب. وكان لورنس قد ترك مسدسه الخاص في داحوم.

(٢) هو القنصل النمساوي في حلب كان صديقا للورنس .

(٣) السير أدون پيرس ، رئيس المجلس الاوربي في اسطنبول ومراسل جريـدة « ديلي نيوز » .

(٤) وهي القوات التي خطط لها ان تخوض المعركة في غاليبولي وسالونيك .

(٥) كان بتلر رئيسا للبعثة الآثارية الامريكية .

(٦) يشير لورنس بذلك الى المفاوضات السرية بين بريطانيا وطلعت . راجع رسالته الى وليم ييل وملاحظات ييل عنها .

(٧) رفض الفرنسيون تسمية عضو يمثلهم في اللجنة الدولية لتقصي الحقائق والتي تضاءل حجمها في آخر الامر الى مندوبين امريكيين هما كنك وكرين اللذين زارا سوريا خـلال الصيف وبينـا ان فكـرة الانتداب الفرنسي ستكون مرفوضة نهائيـا وأوصيا ان تكلف الولايـات المتحدة بمهمة الانتداب . ولم يكن للتقرير الذي رفعاه أي نفوذ يذكر .

(٨) المقصود هو الكولونيل ارنولد ولسن الذي استمر في منصبه وكيلا للحاكم العام في العراق بعد فشل مشروع ييل .

(٩) ظهرت هذه الجملة في مسودة الرسالة مضافة الى السطور بقلم الرصاص، المحـرر .

ملاحظـات :

(أ) أود ان أقول ان ليس هناك وجود لاتفاقية بين فيصل ومصطفى كمال ، غير ان رجال العرب من « حزب العرب الفتي » يرحبون بذلك ، واذا ماوجد فيصل نفسه في ضائقة فسوف يقبل بأيـة مساعدة . لقد تجدد اهتمام يهود فرانكفورت بشؤون تركيا مؤخرا ووصلت اشارات الى لندن بشأن ذلـك .

(ب) ليس هنالك خطر من مصطفى كمال على الارمن في قفقاسيا الا اذا قاموا بالهجوم على ارضروم مثلا . ان مفتاح الحل لقضيتهم سيعتمد ربما على التاريخ السياسي لمسلمي تركستان في الاشهر الستة القادمة .

(جـ) ليس بمستطاع مصطفى كمال ان يقـرر امـره بين سيليسيا وسميرنا من وجهة العمليات ولن يقوم بعمل ما الا في ظروف يائسة او ملائمة للغاية .

(د) لا اعتقد ان العناصر التي ابرمت معنا الاتفاقية الايرانية تتمتع بأي رصيد في ايران وان أي نجاح للبلاشفة في منطقة مشهد حري بأن يحدث تغييرا جذريا في موقف الايرانيين .

(هـ) ان القلاقل التي يثيرها الاكراد مؤذية للغاية . ان الاكراد لا يملكون شعورا مشتركا وليست لديهم الاهلية لحكم انفسهم او للوحدة القومية . ويعتقد مصطفى كمال اننا نتخذ هذا الموقف من الاكراد من باب التعاطف معه .

(و) ان تذمر العراقيين منا يتركز في المدن على الاكثر ، وسوف يزداد فاعلية عندما يظهر اهتمام اولي الامر منهم فيخرجوا الى الارياف للاتفاق مع السكان هناك على العمل .

(ز) بودي لو اعرف فيما اذا كنا قـد فكرنا في استعمال طلعت للقضاء على انور . ان مذكرات طلعت قد تكون ذات فائـدة لنا ، وان مصطفى كمال يلوح بأسم انور كالراية بين يديه في حركته . وبطبيعة الحال فإن مصطفى كمال اكثر كفاءة من صاحبه الا ان ماينقصه هي الجاذبية الشخصية التي عند انور .

لورنس

(١٠) ان هؤلاء انفسهم كانوا يدفعون الرشاوي للبعض . فلقد استطاع الكولونيل ليجمان من منع بعض العرب في منطقته من الاشتراك بالثورة (العراقية) بعد ان وزع عليهم مبلغ ٢١٠٠٠ باون سنة ١٩٢٠ .

(١١) كان ذلك هو الكولونيل اي . تي . ولسن ، وكيل الحاكم العام . وفيمايلي معلومات عن هذه المقابلة اقتبست من كتاب فيليب آيرلانـد « العـراق دراسة في تطوره السياسي » : ـ « ... تقدم خمسة عشر من الشخصيات الوطنية البغداديـة ، المندوبون كما يسميهم السكان ، بطلب الى وكيل الحاكم العام لمواجهته بشـأن عرض مطاليبهم لكي يقدمها الى الحكومـة البريطانية . حاول الحاكم اول الامر تفادي هذه المقابلة . الا انه حدد لهم اخيرا موعدا في ٢/٦ . الا انـه اتخذ اجراءات احتياطية بأن دعى حوالي

اربعين من وجوه البلد الآخرين .. واتخذ اجراءات بوليسية معينة ووضع قطعات الجيش في حالة تأهب في ثكناتهم وجاء بالسفينة الحربية « كومت » الى شاطيء دجلة قبالة السراي وصوبت مدافعها نحو مقر الاجتماع .

(١٢) كان قد تقرر اعادة السير بيرسي كوكس كمندوب سام في شهر تشرين الاول/ اكتوبر التالي ليشكل حكومة .

(١٤) ان « شو » هو الاسم المستعار الذي اتخذه لورنس لنفسه آنذاك .

(١٥) ان هذا الراي بحاجة الى سند . لقد ابرمت اتفاقية سرية في باريس بمثابة ترتيبات عمل بين كليمنصو وفيصل وكانت تحتوي على بذرة من الامل . الا ان ميلنارد مزق هذه الاتفاقية واطلق العنان لجيش غورو بأحتلال دمشق .

الفهرست

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ـ بغداد
(١٠٩٢) لسنة ١٩٨٨

السعر : ديناران ونصف

دار الحرية للطباعة ـ بغداد

١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م